روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات ﷺ

تأليف

الإمام الحافظ المربي أبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني

المتوفى ١٣٨٤هـ

تحقيق نجليه الفاضلين:

عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني

و

محمد بن محمد الباقر الكتاني

اعتناء وتقديم

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

روضات الجنات

في

مولد خاتم الرسالات صلى الله عليه وسلم

تأليف

الإمام الحافظ المربي أبي المهدي محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير

الكتاني الحسني

المتوفى ١٣٨٤ هـ

تحقيق نجليه الفاضلين

عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني و محمد بن محمد الباقر الكتاني

اعتناء وتقديم

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذه كتب تحدّثت عن المولد النبوي

تقديم الأستاذين

عبد الرحمن الكتاني

ومحمد الكتاني

الحمد لله حقّ حمده والصلاة والسلام على سيّدنا محمد نبيّه وعبده وآله وصحبه وجنده.

أمّا بعد: فإن علم السيرة النبوية معدود من العلوم الإسلامية التي يجب على كل مسلم أن يدرسها، ويقف على مواطن العبر فيها، وكيف لا يكون كذلك، وهو علم ورد شطره في القرآن العظيم، وشطره الآخر في سنّة الرسول الكريم.

وقد خصّه العلماء بالتأليف منذ ابتداء التدوين، في الإسلام إلى الآن، فكتبوا فيه مئات من المؤلفات نثرًا ونظمًا، حفظت للإنسانية سيرة نبيّها الخاتم، بكيفية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأنبياء والمرسلين، والملوك والعظماء الخالدين، ابتداء من الفترة التي سبقت مولده ﷺ، إلى اللحظة الأخيرة التي التحق فيها بالرفيق الأعلى، وما تمّ بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية، التي قام بها أصحابه الأبرار رضوان الله عليهم، سواء في حياته أو بعد مماته، وما ذلك إلاّ لأنها كما قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله تعالى في كتابه الجليل «الفصل في الملل» تقتضي لمن تدبّرها تصديقه ﷺ ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله حقًّا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى.

وغنيٌ عن البيان أن أغلب كتب السيرة النبويّة، تحدّثت حديثًا مفيدًا عن مولده عليه الصّلاة والسلام، وأثبتت نماذج مما روي في الموضوع عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

ويكفي أن نذكر منها الآن:

1 - السيرة، لأبي بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي المدني نزيل الشام أحد أعلام الإسلام التابعي الصغير المتوفى سنة 124 هـ[1].

2 - والسيرة، لأبي بكر محمد بن إسحٰق المطلبي بالولاء نزيل العراق الإمام الصدوق، المتوفى سنة 151[2].

3 - والسيرة، لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي الأسلمي مولاهم الحافظ القاضي، المتوفى ببغداد سنة 206[3].

4 - والسيرة، لأبي محمد عبد الملك بن هاشم الحميري المعافري المصري الإمام النقاذ المتبصّر، المتوفى سنة 218[4].

5 - والسيرة الشريفة النبويّة، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع المصري الزهري الإمام المحدث المؤرخ النسّابة الفقيه النحوي كاتب الإمام الواقدي، المتوفى ببغداد سنة 230[5].

6 - وشرف مصطفى، لأبي سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري الإمام الحافظ المؤلف، المتوفى بنيسابور سنة 406[6].

7 - وجوامع السيرة لأبي محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الإمام المجتهد مفخرة الإسلام والأندلس ومجدّد القرن الخامس، المتوفى سنة 456[7].

---

(1) سيرة ابن شهاب مخطوطة وربما تعدّ من الكتب المفقودة، وذكر الإمام محمد بن جعفر الكتاني رضوان الله عليه في الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، نقلاً عن بعض العلماء أنها أول سيرة ألّفت في الإسلام، والرسالة طُبعت ببيروت سنة 1332، وبكراتشي سنة 1379، وبدمشق سنة 1383.

(2) سيرة ابن إسحٰق مخطوطة توجد أجزاء صغيرة منها على طريقة الأقدمين بمكتبة القرويّين بفاس في مجلد.

(3) سيرة الواقدي، مخطوطة.

(4) سيرة ابن هشام طُبعت عشرات المرات، وهي تهذيب لسيرة ابن إسحٰق وللأستاذ محمد بن عبد العزيز إسماعيل الشيرازي اختصار لها وشرح على بعض ألفاظها، طبع بمصر بمطبعة بابي الحلبي وأولاده في مجلد.

(5) نعني بسيرة ابن سعد المجلدين الأول والثاني من طبقاته الكبرى المطبوعة مرّات، وهي أصل لكل من كتب في السيرة أو في بعض نواحيها بعده.

(6) شرف المصطفى مخطوط في ثمان مجلدات.

(7) جوامع السيرة طبعته دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين=

8 ـ والدُّرر في المغازي والسِّيَر، لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي الإمام الحافظ مفخرة الإسلام، المتوفَّى بالأندلس سنة 463[1].

9 ـ والشفا في تعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الحافظ المحدث المشارك مفخرة المغرب، المتوفَّى بمراكش سنة 544[2].

10 ـ والروض الأنف في شرح غريب ألفاظ سيرة ابن إسحاق مما بلغني علمه ويسّر لي فهمه من لفظ غريب أو إعراب غامض، أو كلام مستغلق أو نسب عويص أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه أو خبر ناقص، يوجد السبيل إلى تتمّته لأبي زيد عبد الرحمٰن بن عبد الله السهيلي المالقي الأندلسي الأعمى الإمام المصنف المكثر، المتوفَّى بمراكش سنة 581[3].

11 ـ والوفا بأخبار المصطفى، لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن أبي الحسين علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري الصديقي الحنبلي الإمام الحافظ الواعظ المتوفَّى ببغداد سنة 597[4].

12 ـ والاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا، لأبي الربيع سليمان بن موسى الحميدي الكلاعي البلنسي الإمام الكبير آخر حفّاظ الاندلس المؤلف المكثر المتوفَّى شهيدًا ببلد العدوّ سنة 634[5].

= الأسد، ومراجعة العلامة أحمد محمد شاكر في ٢٦٦ صفحة، وأضيفت إليه رسائل أخرى لابن حزم والجميع في مجلد.

(1) الدرر، مطبوع بمصر.

(2) الشفا، قال فيه ابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: (أبدع فيه كل الإبداع، وأسلم له أكفاءه كفاءته فيه ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه، بل تشوّقوا للوقوف عليه والاستفادة منه وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقًا وغربًا)، وله شروح عديدة منها: شرحا الشيخين علي القاري وشهاب الدين الخفاجي، وهما مطبوعان ومشهوران.

(3) الروض طُبع ثلاث مرات، منها مطبعة دار الاستقامة بمصر.

(4) الوفا مطبوع بمصر في مجلدين مشتملين على نحو تسعمائة صفحة، بتحقيق الأستاذ مصطفى محمد، ويطلب من دار الكتب الحديثة.

(5) الاكتفاء مخطوط في أربعة أجزاء، طبع واحد منها بالجزائر.

13 ـ والسيرة لمحب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي الإمام الفقيه المحدث شيخ الحجاز واليمن من لم يكن في زمانه مثله المتوفَّى بمكّة المكرّمة سنة 694[1].

14 ـ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر لأبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري الأندلسي الأصل المصري الشافعي الإمام الحافظ المتوفَّى بمصر سنة 734[2].

15 ـ والفتح القريب في سيرة الحبيب، لأبي الفضل فتح الدين النابلسي العلاّمة القاضي الشاعر المكثر[3].

16 ـ وزاد المعاد في هدي خير العباد، لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدرعي الدمشقي الشهير بابن قيّم الجوزية الإمام الجليل محيي السنّة ومميت البدعة، المتوفَّى سنة 751[4].

17 ـ والزهر الباسم في سيرة أبي القاسم، لعلاء الدين مغلطاي بن قلبج الحنفي التركيب المصري الحافظ المؤلف المكثر، المتوفَّى بمصر سنة 762[5].

18 ـ والسيرة، لأبي محمد عبد الكريم بن عبد النور الحلبي ثم المصري الحنفي المعروف بابن أخت الشيخ نصر الإمام الحافظ مفتي الديار المصرية، المتوفَّى بمصر سنة 735[6].

19 ـ والسيرة الكبرى، لعزّ الدين أبي عمر عبد العزيز بن بدر الدين بن جماعة الكناني الحموي الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية، المتوفَّى بمكة المكرّمة سنة 767[7].

20 ـ والسيرة النبوية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي الإمام الحافظ المؤلف المكثر المنتفع به حيًا وبكتبه ميتًا، المتوفَّى سنة 884[8].

---

(1) سيرة الطبري لا نعلم هل طبعت أم لا.

(2) عنوان الأثر، قال فيه الإمام الكتاني في الرسالة: هو كتاب جامع لفوائد السير من أحسن ما ألف فيها، وقد طبعته في جزأين مطبعة الجيل ببيروت، ومعه حوّاشٍ مقتبسة من الاقتباس لحل مشاكل سيرة ابن سيّد الناس لابن عبد الهادي.

(3) الفتح سيرة منظومة في ثلاث مجلدات، قال في خطبتها: نظمت منها في خمسين نهارًا تسعة آلاف بيت استوفت متون عيون الأثر، ولا نعلم هل طبعت أم لا.

(4) زاد المعاد، طبع مرات عديدة.

(5) الزهر مخطوط.

(6) سيرة ابن أخت الشيخ نصر، مخطوطة.

(7) السيرة الكبرى، مخطوطة.

(8) سيرة ابن كثير فصلت من كتابه الكبير الشهير البداية والنهاية لأخبار العرب في الجاهلية، وسيرة=

21 ـ والدُرر السَنيَّة في نظم السِّيَر الزكية، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المصري الشافعي الإمام الكبير الحافظ الشهير المؤلف المقتدر مجدّد المائة الثامنة المتوفَّى بمصر سنة 806[1].

22 ـ والسيرة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني أصلاً المصري مولدًا ومنشأ ودارًا ووفاة سيد الحفاظ في عصره المتوفَّى بمصر سنة 852[2].

23 ـ وبهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسِّيَر والشمائل لأبي زكرياء عماد الدين يحيىٰ بن أبي بكر العامري اليمني الإمام المحدث العلامة الكبير المطلع المقتدر، المتوفَّى باليمن سنة 893[3].

24 ـ والمواهب اللدنيَّة بالمنح المحمديَّة، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري الشافعي الإمام الحافظ الحجة المتوفَّى بمصر سنة 923[4].

25 ـ وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوّته وأفعاله وأحواله في البدء والمعاد، لشمس الدين محمد بن يوسف الشامي الدمشقي الصالحي نزيل القاهرة الإمام الكبير من خرّيجي مدرسة الحافظ السيوطي، المتوفَّى سنة 942[5].

= النبيّ ﷺ وتاريخ دعوته حتى مماته، وطبعت في خمس مجلدات بمطبعة عيسى بابي الحلبي وشركائه سنة ١٩٦٤، بتحقيق الأستاذ مصطفى عبد الواحد وهو عمل جليل قام به المحقّق والناشرون.

(1) الدرر معروفة بألفيّة العراقي في السيرة، وقد طبعت بالرباط منذ أكثر من أربعين سنة بالمطبعة الأهلية التي كان يديرها السيّدان مصطفى بن عبد الله وعباس الثناني، وتحظى بعناية كبرى من علماء المغرب يحفظها جمع منهم ويستدلّون بها في دروسهم ومؤلّفاتهم، وكيف لا ومؤلّفها من شيوخ الحافظ ابن حجر، وقد شرحها الشيوخ عبد الرؤوف المناوي شرحًا مبسوطًا وآخر ملخّصًا، ونور الدين علي بن زين العابدين محمد الأجهوري المالكي في مجلدين، ومحمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران الفاسي في مجلدين ضخمين.

(2) سيرة ابن حجر، مخطوطة.

(3) البهجة بشرح العلامة جمال الدين الشيخ محمد الأشخر اليمني نشرها السيد محمد سلطان التمتكاني صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنوّرة في مجلدين، ومن الغرائب أن تنشر بدون ترجمة للمؤلف والشارح.

(4) المواهب طبعت مرات عديدة في مجلدين ضخمين وقد درسنا طرفًا منها على والدنا قدّس سرّه بمسجد سيدي الحاج عبد الله بسلا، وللشيخ يوسف النبهاني قدّس سرّه اختصار لها سمّاه الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية مطبوع ومتداول درسناه على والدنا مرّات.

(5) سبل الهدى مخطوطة في نحو أربع مجلدات ضخام أو أكثر، قال فيها الإمام الكتاني في=

26 ـ وإنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، لنور الدين أبي الحسن عليّ بن إبراهيم الحلبي القاهري الشافعي الإمام المتبحّر، المتوفّى بمصر سنة 1044[1].

27 ـ وشرح مواهب القسطلاني، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري المالكي الإمام الجليل خاتمة المحدثين بالديار المصرية، المتوفّى بمصر سنة 1122[2].

28 ـ والذخيرة في السيرة النبوية، لأبي عبد الله محمد المعطي بن صالح الشرقي المغربي التادلي البجعدي الشيخ الجليل العالم العارف الأديب البارع المتوفّى ببجعد سنة 1180[3].

29 ـ والمقالات السنيّة في مدح خير البريّة سيرة منظومة لأبي عثمان بن عليّ[4].

30 ـ والسيرة لأبي فارس اللغوي العلأمة الجليل المشارك المطلع[5].

31 ـ وفرائد الدُرر وفوائد الفكر في شرح مختصر السِّير، لأبي علي بن أبي القاسم بن باديس القسمطيني القاضي العدل المحدث المسند[6].

32 ـ والسيرة النبويّة والآثار المحمدية لأبي العباس أحمد زيني دحلان المكي الشافعي شيخ الإسلام بالحرمين الشريفين في أواخر القرن الماضي الهجري، ومطلع

= الرسالة: (رأيت أجزاء منها وهي من أحسن كتب المتأخرين في السيرة النبويّة وأبسطها انتخبها من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وتحرّى فيها الصواب، وأتى فيها من الفوائد بالعجب العجاب) الخ، وقال الحافظ محمد عبد الحيّ الكتاني رحمه الله في التراتيب الإدارية: (هي أجمع السير وأوسعها مادة، وأكثرها مجلدات، وهي عندي بحمد الله).

(1) إنسان العيون، مطبوع مرّات.

(2) شرح المواهب، مطبوع مرّات في 8 مجلدات.

(3) الذخيرة مخطوطة، قال فيها الحافظ الكتاني: (إنها أكبر كتاب ألف في الإسلام في السيرة النبوية في نيّف وسبعين مجلدًا، كل مجلد خاص بشأن من الشؤون النبوية، وفي المكتبة الكتانية ما ينيف على عشرين مجلدًا منها).

(4) المقالات مخطوطة، قال الحافظ الكتاني في التراتيب الإدارية: (فيها تسعة عشر ألف بيت من أعجب ما ألّف في الإسلام وأبدع ما نظم، تفاخر بها نظم الإلياذة).

(5) سيرة أبي فارس، كراسة مخطوطة شرحها غير واحد من العلماء.

(6) الفرائد شرح فيها سيرة أبي فارس المتقدم، قال فيه الحافظ الكتاني في التراتيب الإدارية: (إنه في مجلد ضخم واسع البحث غزير المادة، مخطوط بالمكتبة الكتانية).

هذا القرن وسيف الله تعالى المسلول على المبتدعة المقول فيه صار البخاري عنده ضروريًا كالفاتحة، المتوفى بمكة المكرمة سنة 1304[1].

33 ـ ومورد الصفا في محاداة الشفا، لأبي العباس أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري العلامة الكبير والداعية الإسلامي الشهير المؤلف المكثر الشاعر المبدع المتوفى بسطات سنة 1363، وضجيع القاضي عياض بمراكش نظم فيه شفا القاضي عياض في أكثر من عشرة آلاف بيت إلى غير ذلك مما يطول ذكره الآن[2].

ومن العلماء من أفرد ناحية من نواحي السيرة بالتأليف؛ كالمولد، وأعلام النبوّة، والمعجزات، والمعراج، والشمائل، والخصائص، والآداب، والأخلاق، والترغيب، والترهيب، والمغازي، والحقوق، والكلمات الجامعة، والنعال، والمسجد ونظام الحكومة النبويّة والأسماء المحمدية وغير ذلك.

ويهمّنا أن نثبت هنا قول الحافظ السخاوي رحمه الله في الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ:

(إنه لو حصل التصدّي لجمع اسم من كتب في السيرة النبوية لكان في عشرين مجلّدًا فأكثر).

وقول الحافظ الكتاني في التآليف المولدية معلقًا[3] على هاته الكلمة:

هذه عبارته عما كتب منذ القرون الأولى إلى القرن التاسع، فإذا زادت عليه ما كتب بعده في هذه القرون الأربعة انجلى الأمر على حقيقة ما ذكرناه، وإذا أردت مثلاً يوقفك على ما وراءه فإن عائلة واحدة بالمغرب الأقصى هي: «العائلة الكتانية» اتّفق

---

(1) سيرة دحلان طبعت مرات وهي في نظرنا من أهم كتب السيرة جمعت بين الجزالة في التعبير والفوائد المتنوّعة المتعلقة بالموضوع المتحدّث عنه، تغني عن غيرها ولا يغني غيرها عنها، درسنا شطرًا منها على أستاذنا الشيخ أحمد بن عبد النبيّ رحمه الله بالزاوية الدرقاوية بسَلا.

(2) نظم الشفا، مخطوط أخبرنا العلامة الجليل السيد محمد بن أبي بكر التطواني أبقاه الله أن للحافظ الكتاني تقديمًا له في مجلد أشاد فيه بكل الذين خدموا الشفا، وهو عمل لم يسبق إليه. كما أخبرنا أن للقاضي سكيرج المذكور نظم الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي، مات قبل إتمامه، والتامّ منه يشتمل على ثلاثين ألف بيت، جزاه الله خيرًا.

(3) التآليف المولدية في ذكر ما كتب على خصوص المولد النبويّ الشريف وبيان أخذ بعضها عن بعض وطرق الاتّصال بها، نشرته مجلة الزيتونية التونسية في عدّة أعداد ابتداء من شهر ربيع الأول 1356 الموافق لشهر ماي 1937، ويدلّ على اطّلاع كبير لا يوجد له نظير في العالم الإسلامي وبحثنا هذا يعد ذيلاً له في خصوص موالد المغاربة.

لعدد من أفراد علمائها الاشتغال بالتدوين في الشؤون المحمديّة، فمنهم من كتب في ميلاده عليه السلام، ومنهم من كتب في علمه، ومنهم من كتب في نظام حكومته، ومنهم من كتب في شيبه وخضابه، ومنهم من كتب في أكله ولباسه، ومنهم من كتب في شمائله وغير ذلك مما يجتمع لهم منه خاصّة قريب من مائة مصنف يجتمع منها عدة مجلدات ضخمة.

وهذا يدلّ على اهتمام المسلمين بشؤون نبيّهم اهتمامًا لم يشاركهم فيه رجال دين آخر).

والآن وبعد أن ذكرنا أسماء ثلاثة وثلاثين كتابًا من كتب السيرة التي تحدّثت عن المولد النبوي كجزء من السيرة نأتي بأسماء خمسين كتابًا من الكتب الخاصّة بالمولد، ونقتصر في هذا التقديم على كتب أبناء مغربنا الأقصى، فنقول:

1 ـ مولد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى المتقدم[1].

2 ـ والدرّ المنظم، في مولد النبيّ المعظم، لأبي العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أحمد اللخمي، ثم العزفي السبتي الإمام المحدث المسند الراوية مفخرة المغرب وإفريقية عمومًا ومدينة سبتة خصوصًا (المدينة المغربية المغتصبة من طرف الاستعمار الإسباني حرّرها الله وجميع الأراضي الإسلامية التي لا زالت مستعمرة آمين) المتوفى بسبتة سنة 633[2]. قبل أن يتمّه فأتمّه ولده أبو القاسم محمد العزفي أمير سبتة المتوفى بها سنة 677.

3 ـ ونظم الدر المنظّم، في مولد النبيّ المعظم لأبي إسحٰق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني الوقشي الأصل نزيل سبتة المغربية والمتوفّى بها سنة 697 العلاّمة الجليل الشاعر المجيد نظم فيه مضمن مولد العزفي في قصيدة عينية من بحر البسيط في 185 بيتًا[3].

---

(1) مولد القاضي عياض قال فيه الحافظ الكتاني في التآليف المولدية: (إن نفسه بعيد عن إنشاء عياض)، وهو مطبوع بدمشق في 19 صفحة.

(2) الدر المنظم، قال فيه الحافظ الكتاني في التآليف المولدية: (هو أكبر الموالد وأوسعها رواية وإفادة، وهو مولد جامع يفتخر به المغاربة، بل الأفارقة، يوجد في المكتبة الكتانية في مجلد ضخم، ولعلّه أقدم مؤلّف أُلّف بالمغرب).

(3) نظم الدرّ المنظم، انظر أبياتًا منه في مقال قيم نشره الأستاذ الكبير السيد محمد المنوني الحسني بمجلة دعوة الحق السنة 12 العدد 1 ص 117 ـ 131، بمناسبة ذكرى المولد النبوي.

4 ـ ومولد نبوي لأبي عمران موسى بن أبي علي الزناتي الزموري المولد والمنشأ نزيل مراكش، والمتوفَّى بها سنة 714[1].

5 ـ كراسة في المولد النبوي لأبي عبد الله محمد فتحًا بن إبراهيم بن أبي بكر عبد الله بن عباد النفزي الرندي العلامة الجليل الداعية المتوفَّى بفاس سنة 792، كانت تقرأ في حفلات المولد النبويّ التي كانت تُقام أيام أمير المؤمنين المنصور السعدي[2].

6 ـ ومجلد في المولد النبوي لأبي عبد الله محمد المعطي بن صالح الشرقي التادلي البجعدي المتقدم[3].

7 ـ ومولد أبي عبد الله محمد المغربي الناصري الشيخ الشهير والعارف الكبير الداعية الإسلامي المتوفَّى باللاذقية سنة 1240[4].

8 ـ ومولد أبي عبد الله محمد الطيّب بن أبي بكر بن كيران الفاسي العلاّمة الجليل المدرّس النفّاع المتوفَّى بفاس سنة 1314[5].

9 ـ والإتحاف والوداد، ببعض متعلقات الولاد لأبي العلاء إدريس بن علي السناني الغرباوي الفاسي العالم الأديب الشاعر الناثر البارع في الموزون والملحون، المتوفَّى بفاس سنة 1322[6].

10 ـ والقمر المنشق وحقيقة الحقائق، بمولد الشفيع المشفّع وخير الخلائق، لأبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الإدريسي الحسني شيخ الإسلام، ومستشار

---

(1) مولد أبي عمران ذكره الأستاذ المنوني أيضًا في نفس المصدر السابق.

(2) كراسة ابن عباد قال فيها الأستاذ المنوني في نفس المصدر: (هي عبارة عن خطبة جمعية مطولة في موضوع المولد النبوي، وخطبة محفوظة ضمن مجموع يحمل رقم 269 بمكتبة الزاوية الحمزوية، وبالمكتبة الملكية بالرباط رقم 2688).

(3) مولد الشيخ المعطي بن صالح مخطوط.

(4) مولد المغربي، قال فيه الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني ـ رحمه الله ـ في جواهر البحار: (يقرأ في المحافل وهو من أبلغ وأفضل وأكمل الموالد المؤلّفة في ولادته ﷺ وقد جمع الشيخ فيه بين روايات المحدثين، وعبارات ساداتنا الصوفية المحقّقين وهو من أكابرهم وهو أعرف الناس بعلوّ قدر سيّدنا محمد سيّد المرسلين)، طالعه في ج 3 ابتداء من ص 1098 إلى ص 1112.

(5) مولد الشيخ ابن كيران مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس.

(6) الإتحاف مطبوع بنفس المطبعة.

أمير المؤمنين الحسن الأول، وصاحب المؤلفات العديدة المتوفَّى بفاس سنة 1323، كان يمليه من حفظه في بعض ذكريات المولد النبوي بفاس(1).

11 ـ ومولد جدنا أبي الفيض محمد ابن الشيخ عبد الكبير الكتاني الشيخ الإمام الحافظ المجتهد المحدث العارف الأكبر المستشهد بفاس سنة 1327، جمع فيه بين علمي الحديث والسيرة وبين المعرفة الربانية(2).

12 ـ والسانحات الأحمدية، في مولد خير البرية، مولد بلسان أهل المعرفة الكبرى له أيضًا يقرأ في الزوايا الكتانية في الاحتفالات المولدية التي تقام في ليالي سابع ربيع الأول، وتشعر أثناء قراءته وسماعه بجوّ روحاني يغمرك. وينبغي أن تتعرّف على اصطلاحات الصوفية قبل ذلك حتى لا تظنّ بأهل الله الظنون فتهلك(3).

13 ـ ومولد أبي عبد الله محمد فتحًا بن قاسم القادري الحسني، الإمام الكبير، شيخ الجماعة بفاس، المتوفَّى بها سنة 1331(4).

14 ـ وهداية المُجِبِّين، إلى ذكر مولد سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه في كل حين لأبي عبد الله محمد التهامي بن المدني كنون الفاسي، الإمام الجليل، المعدود من أبرز شيوخ جامعة القرويين، المتوفَّى بفاس سنة 1331(5).

15 ـ والنفحات العنبرية، في مولد سيد البريّة، لأبي عبد الله محمد ضما بن محمد التهامي كنون العلاّمة المشارك المتوفَّى بفاس سنة 1333(6).

---

(1) القمر المنشق، مخطوط أخبرنا ابن عمّنا العلاّمة المجاهد السيد محمد إبراهيم الكتاني أبقاه الله أنه موجود بمكتبته بخطّ مؤلفه.

(2) مولد جدنا الشيخ أبي الفيض مخطوط في نحو 50 صفحة وموجود بالمكتبات الكتانية بسلا والرباط، وبمكتبة العلامة الناسك السيد الحاج محمد المريني خطيب المسجد الأعظم بسلا.

(3) السانحات الأحمدية مطبوعة بالمطبعة الحجرية بفاس في نحو 20 صفحة.

(4) مولد الشيخ القادري مدرج ضمن حاشيته على شرح الأزهري على البردة البوصيرية لدى قول البوصيري رحمه الله:

أبان مولده عن طيب عنصره ... يا طيب مبتدإ منه ومختتم

والحاشية المذكورة مطبوعة بالمطبعة الحجرية بفاس.

(5) الهداية مطبوعة بالمطبعة الحجرية بفاس في نحو 40 صفحة.

(6) النفحات مخطوطة في نحو 40 صفحة، أفادنا بذلك العلامة الكبير السيد عبد الله كنون الحسني الأمين العام لرابطة العلماء أبقاه الله.

16 ـ والسرّ الأبهر، في ولادة النبيّ الأطهر، لأبي إبراهيم أحمد ابن الشيخ جعفر الكتاني، الإمام المشارك الصوفي الكبير العارف بالله، من أبرز شيوخ جامعة القرويين، والمؤلفين المكثرين، المتوفّى بفاس سنة 1340[1].

17 ـ ومنهاج الحقّ الواضح الأبلج، في ولادة صاحب الطرف الأدعج والحاجب الأزج له أيضًا[2].

18 ـ والنظم العجيب في الفرح بولادة الحبيب مولد منظوم له أيضًا[3].

19 ـ وإسعاف الراغب الشائق، بخبر ولادة خير الأنبياء وسيّد الخلائق، لأبي عبد الله محمد ابن الشيخ جعفر الكتاني الإمام الحافظ المحدث المؤلف المكثر المتوفّى بفاس سنة 1345، ومولده هذا أشهر مولد بالمغرب، يحظى بنفس الاهتمام الذي تحظى به بردة البوصيري وهمزيّته ومن مظاهر هذا الاهتمام أن جمعًا من العلماء ورجال المديح النبويّ يحفظونه ويقرؤونه في الحفلات المولدية وغيرها اقتداء بالمشارقة الذين يهتمون بمولد الإمام البرزنجي رحمه الله ويقرؤونه في الحفلات الدينية طول السنة وترجموه إلى اللغة التركية، وعلى هذا المولد الكتاني اعتمد شطر من المؤلفين في المولد وفيهم من أثبت بعض فصوله بلفظها[4].

20 ـ وفجر السعادة الباسق وقمر السيادة الشارق، على إسعاف الراغب الشائق، بخبر ولادة خير الأنبياء وسيّد الخلائق لأبي العباس أحمد ابن الشيخ جعفر الكتاني المتقدم شرح فيه مولد أخيه الإمام محمد بن جعفر الكتاني بعد أن كان يدرسه للجمهور الفاسي الذي كان يحضر دروسه بين العشاءين بمسجد مولاي عمر بالأقواس بفاس في شهر المولد النبويّ[5].

21 ـ واليُمْن والإسعاد في مولد خير العباد، وهو المولد الثاني للإمام محمد بن جعفر الكتاني المتقدم، ولم يشتهر كالأوّل[6].

---

(1) السر، مخطوط وموجود بمكتبة ولده الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني.

(2) المنهاج، مخطوط بمكتبة ولده المذكور. (3) النظم، مخطوط بمكتبة ولده المذكور.

(4) الإسعاف مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس عدّة مرات.

(5) الفجر مخطوط وموجود عند ولده الأستاذ الكتاني السابق الذكر.

(6) اليمن مطبوع بالمطبعة الأهلية بالرباط منذ ما يقرب من خمسين سنة، قال فيه الحافظ الكتاني في التآليف المولدية: (مولد حميد مملوء نقلاً وفوائد وأمتع من المولد الأول).

22 ـ والسرّ الرباني، في مولد النبي العدناني، لأبي عبد الله محمد بن محمد البناني الفاسي الشيخ العلامة المدرّس النفّاع المتوفّى بفاس سنة 1345[1].

23 ـ وشفاء الأسقام بمولد خاتم الأنبياء وصفوة الرسل الكرام، لأبي محمد الطاهر بن الحسن الكتاني، العلاّمة الكبير، والعارف الشهير، والمؤلف المكثر، من أبرز أساتذة جامعة القرويين والمدرسة الناصرية بفاس، المتوفّى بفاس سنة 1347 كان يقرأه في الاحتفالات المولدية التي يحضرها[2].

24 ـ وتحفة الصادر والوارد، بولادة صاحب الشفاعات في المواقف والمشاهد للشيخ محمد الطاهر الكتاني المذكور[3].

25 ـ مولد لأبي رافع عبد العزيز بن محمد بناني الفاسي العلامة المشارك نائب رئيس المجلس العلمي بفاس، المتوفّى بها سنة 1347[4].

26 ـ وفتح الله، في مولد خير خلق الله، لأبي الحسنات فتح الله ابن الشيخ أبي بكر بناني الرباطي، الشيخ المربّي الداعية الصادق العلاّمة المشارك المدرّس النفّاع المتوفّى بالرباط سنة 1354[5].

27 ـ ومولد أبي العباس أحمد بن محمد فتحًا العلمي المشيشي الحسني الفاسي، ثم المراكشي العلاّمة الداعية أحد أساطين الجامعة اليوسفية المتوفّى بمراكش سنة 1358[6].

28 ـ وإتحاف السامعين، بمولد سيد المرسلين لأبي عبد الله عبد الصمد بن محمد التهامي كنون الفاسي ثم الطنجي العلامة الكبير، والمدرّس النفاع والداعية الصادق المتوفّى بطنجة سنة 1362[7].

---

(1) السر الرباني، مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس.

(2) الشفا، مخطوط وقفنا على اسمه في الترجمة التي كتبها والدنا لمؤلفه في الكواكب الزاهية، في علماء الشعبة الكتانية، مخطوط.

(3) التحفة مخطوطة ذكرها والدنا قدّس سرّه في الكواكب أيضًا.

(4) مولد الشيخ بناني مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس في نحو 21 صفحة.

(5) فتح الله مطبوع بالمطبعة الحميدية بالقاهرة سنة 1323.

(6) مولد الشيخ العلمي مطبوع على الحرف في حياة مؤلّفه في نحو 20 صفحة.

(7) الإتحاف مخطوط في نحو 40 صفحة.

29 ـ ومولد لأبي العباس أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري المتقدّم[1]

30 ـ والنور اللائح، بمولد الرسول الخاتم الفاتح؛ لأبي زيد عبد الرحمٰن بن زيدان العلوي الحسني نقيب الأشراف العلويّين بمكناس، ومؤرّخ الدولة العلويّة، العلاّمة الجليل المؤلف المكثر، المتوفّى بمكناس سنة 1365[2].

31 ـ وشفاء السّقيم، في مولد النبيّ الكريم، لأبي علي الحسن بن عمر مَزُّور الفاسي أول رئيس للمجلس العلمي بجامعة القرويين بعد الاستقلال وأحد شيوخها الذين أفنوا أعمارهم في نشر العلم، ووفوا بما عاهدوا الله عليه[3].

32 ـ والرحمة العامة، في مولد خير الأمّة؛ لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن المبارك الفتحي المراكشي الموقت بجامع ابن يوسف بمراكش العالم المؤرخ المؤلف المكثر المتوفّى بمراكش سنة 1369[4].

33 ـ وبلوغ السعد والتهاني، في مولد صاحب السبع المثاني، لأبي العباس أحمد بن محمد العمراني الحسني الفاسي العلامة المشارك المؤلف المجيد من كبار علماء القرويّين الذين أفنوا أعمارهم في التدريس بها المتوفّى بفاس سنة 1370[5]

34 ـ وبلوغ القصد والمرام، بقراءة مولد خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن محمد الحجوجي الحسني الفاسي ثم الدمناتي، العلاّمة الكبير، المؤلف المتقن الداعية الصادق المتوفّى بدمنات سنة 1370[6].

35 ـ ومولد ثان له أيضًا[7].

36 ـ ونبذة بهيّة، وطرفة شهيّة، في ولادة خير البريّة، لأبي الفضل إسماعيل بن المأمون الإدريسي القيطوني الحسني العلاّمة المشارك قاضي فاس المتوفّى بها سنة 1379[8].

---

(1) مولد الشيخ سكيرج مطبوع على الحروف سنة 1363.

(2) النور مطبوع على الحروف بتونس العاصمة سنة 1331 في 39 صفحة، وتليه قصيدتان للمؤلف وتقاريظ لإحدى القصيدتين.

(3) شفاء السقيم مطبوع على الحروف بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1350 في 80 صفحة.

(4) طبع بمطبعة السيد مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر سنة 1341 في 40 صفحة.

(5) بلوغ السعد مطبوع على الحروف بفاس.

(6) بلوغ القصد وقفنا عليه مخطوطًا في نحو 12 صفحة.

(7) مولد الشيخ الحجوجي الثاني مخطوط.

(8) النبذة مطبوعة على الحجر بفاس.

37 ـ ومولد لعم والدنا أبي الإسعاد محمد بن عبد الحيّ ابن الشيخ عبد الكبير الكتاني حافظ عصره ومحدثه، وإمام التاريخ وفلسفته، مسند الزمان ونسّابته المتوفّى سنة 1382[1].

38 ـ والبساتين الزاهية، في مولد نبيّ الإنسانيّة، لوالدنا أبي الهدى محمد الباقر ابن الشيخ محمد الكتاني الشهيد الإمام الداعية إلى الله، والمجاهد طوال عمره لإعلاء كلمة الله وتركيز العقيدة الإسلامية في نفوس عشرات الآلاف من إخوانه المغاربة في الحواضر والبوادي وتحرير المغرب من الاستعمار الأجنبي، المدرس النفّاع، المؤلف المكثر، المتوفّى بسلا سنة 1384، وقد رتّبه على ثلاثة وستّين بستانًا عدد سنه ﷺ[2].

39 ـ وروضات الجنّات، في مولد خاتم الرسالات لسيدنا الوالد أيضًا وهو الموجود بين يديك رتبه على ثلاث وعشرين روضة عدد السنوات التي قضاها النبيّ ﷺ بمكّة والمدينة بعد البعثة، وقد تحدّثت عن هذين المولدين مجلة الإسلام المصرية في بعض أعدادها الصادرة في شهر ذي الحجّة الحرام سنة 1357 في كلمة كتبتها عن والدنا رضوان الله عليه، أثناء زيارته للقاهرة في طريقه إلى الحجاز.

40 ـ ومولد أبي حامد العربي بن محمد التمسماني الطنجي العلاّمة المشارك والأديب البارع قاضي طنجة المتوفّى بها سنة 1389[3].

41 ـ مولد أبي عبد السلام عبد القادر ابن الشيخ محمد بن سودة المري العلاّمة الرحّالة المؤرخ المدرس الخطيب المتوفّى بفاس سنة 1389[4].

42 ـ ويتيمة العقد المنضد، في مولد سيدنا محمد، لأبي عبد الله محمد ابن الشيخ عبد الصمد كنون الفاسي ثم الطنجي العالم الجليل والكاتب الكبير، خطيب الزاوية الناصرية بطنجة أبقاه الله[5].

43 ـ ومختصر يتيمة العقد المنضد، في مولد سيدنا محمد، له أيضًا[6].

---

(1) مولد الحافظ الكتاني مخطوط ولا زال في مسودته، وكان يتمنى تخريجه ولا ندري هل حقق الله أمنيته أم لا.

(2) البساتين مخطوط في نحو 80 صفحة.

(3) مولد القاضي التمسماني مخطوط.

(4) مولد أبي عبد السلام مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس.

(5) اليتيمة، مخطوط.

(6) مختصر اليتيمة، مخطوط أيضًا.

44 ـ وشفاء الآلام، بذكر ولادة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسّلام، لأبي العلاء إدريس بن محمد بن العابد الحسيني العراقي خريج جامعة القرويين العالم الداعية الفرضي الحيسوبي المؤقت أبقاه الله[1].

45 ـ والإسعاد الفائق بمولد خير الخلائق له أيضًا[2].

46 ـ السرّ الباهر الأطهر، في مولد النبيّ الطاهر المطهّر، لأبي اليمن عبد الحفيظ ابن الشيخ عبد الصمد كنون الفاسي، ثم الطنجي العالم الداعية، خطيب المسجد الأعظم بطنجة أبقاه الله[3].

47 ـ ومولد نبوي مختصر، يقرأ في مجلس واحد على من حضر له أيضًا.

48 ـ والجوهر المكنون، في مولد الأمين المأمون، لأبي حامد العربي ابن الحاج المبارك العبادي أبًا السباعي أمًا السلاوي ثم البيضاوي، العلاّمة المدرس المؤلف الخطيب قاضي القصر الكبير سابقًا، وأحد العلماء الذين أسّسوا المدارس الحرّة بسلا والدار البيضاء أثناء عهد الحماية المشؤوم، فكان لهم فضل كبير على هاتين المدينتين ونواحيهما أبقاه الله[4]

49 ـ ومولد أبي العلاء إدريس بن المختار التاشفيني الفاسي ثم الجديدي العالم الداعية، المدرّس الخطيب أبقاه الله[5].

50 ـ ومولد حرّر باللغة البربرية لا نعلم محرّره، قال الحافظ الكتاني: (سمعت البربر يسردونه بلغتهم، وهو إذا ترجم آية)[6].

رحم الله السلف، وأبقى البركة في الخلف آمين.

فإليكم يا عشّاق هذا الجانب من جوانب علم السيرة النبويّة وهواة التجمّعات الدينية، التي تقام لوجه الله، فرحًا بمولد رسول الله، مولدًا (يهيّج القلوب إلى حضرة علاّم الغيوب، ويشوق الظمآن إلى الارتواء من بحور العرفان)، ويغذيه بالعلم والمعرفة المؤيّدين بالآيات والأحاديث المشرفة وكلام العلماء الأعلام خلفاء سيّد

---

(1) الشفاء مطبوع بمطبعة الأمنية بالرباط سنة 1388، في 61 صفحة.
(2) الإسعاد مخطوط في نحو 300 صفحة. (3) السر، مخطوط.
(4) الجوهر، مطبوع بمطبعة الأندلس بالدار البيضاء في 20 صفحة.
(5) مولد أبي العلاء مخطوط.
(6) يغلب على ظنّنا أن المولد البربري وضع في العقد الثالث من هذا القرن الهجري.

الأنام. ويحتل الصدارة من بين الموالد النبويّة، المؤلفة في الديار المغربية والشرقية؛ لاعتماده على الأحاديث الصحيحة والحَسَنة، والآثار والأخبار المقبولة المستحسنة وإهماله لكل حديث وأثر، متكلّم فيهما كلامًا مقبولاً عند علماء الحديث والأثر وجمعه بين الأصالة والتجديد، وتأثيره على المثقفين ذوي الرأي السديد.

ونحمده سبحانه على تحقيق أمنية والدنا في طبعه، تلك الأمنية التي عزم على تحقيقها يوم موته، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لطبع مولده الأول، ومعراجه الأكمل، الذي فرغ من تأليفه قبل موته بأربع ساعات وكل ما خلف من أشعار ومؤلفات وما ذلك على الله بعزيز، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا، والحمد لله ربّ العالمين.

سلا، الجمعة 26 من ذي الحجة 1394
10 يناير 1975

عبد الرحمٰن الكتاني
ومحمد الكتاني
وَلَدا المؤلف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

الحمد لله وحده، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد؛ فيسرّني أن أقدم لكتاب «روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات» لجدّ والدتي الإمام المربّي المصلح الشيخ أبي الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفّى عام 1384/ 1964، وتحقيق نجليه الإمامين العالمين الجليلين: عبد الرحمٰن؛ رئيس المعهد الكتاني الحرّ بسلا، ورئيس فروع رابطة علماء المغرب بالرباط وسلا، والمتوفّى عام 1401/ 1980. ومحمد؛ شيخ الطريقة الأحمدية الكتانية، العالم الداعية، المتوفّى عام 1416/ 1996[1].

يُعدُّ كتاب «روضات الجنات» من أهمّ الكتب التي تحدّثت عن المولد النبوي الكريم، حيث اعتنى مؤلفها بإيراد الأحاديث الصحيحة، أو التي لها أصل معتبر في السنّة، فهو مولد أثري فريد، كما اعتنى المؤلف بذكر عدة جوانب من الأخلاق النبويّة، والتعاليم التي على المسلم أن يتخلّق بها في جانب الآداب الإسلامية، ويظهر جليًا من الكتاب اعتناء مؤلّفه بالقضايا الإسلامية العامّة؛ خاصة الهجمة الاستعمارية الفكرية والعسكرية على العالم الإسلامي.

وقد كان العلماء من قديم الزمان ـ حدود القرن الرابع الهجري ـ على إثر اختلاطهم بشعوب الأديان الأخرى ـ خاصة النصرانية ـ سنّوا الاعتناء بيوم مولد النبيّ ﷺ، في إطار الصراع الفكري والدّعائي الذي كان بينهم وبين تلك الديانات، مستغلّين عدة مناسبات إسلامية لتعريف الناس بتاريخ دينهم وسيرة نبيّهم صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله، عن طريق جمعهم في مهرجانات وأعياد، والمحاضرة فيهم بما

---

(1) انظر ترجمتهما في كتاب «من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر وجهودهم من أجل الصحوة الإسلامية»، تأليف الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الباقر الكتاني، وتحقيق الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ص 21، 247.

يناسب الذكرى المذكورة، وكذا استغلّوا تلك المواسم في إطعام الطعام، وتكثيف الدعوة إلى الله تعالى، تحبيبًا للمسلمين وغيرهم فيها، واستجلابًا لقلوبهم من أجل التعلّق بسيرة النبيّ الكريم، وبذلك التعلق بتعاليم الشريعة الإسلامية الغرّاء.

فألّف العلماء عدّة كتب في هذا الباب، ولعل من وائل من أفرده بالتأليف: الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي (ت: 633) في كتابه: «التنوير في مولد السراج المنير»، فكان منهجهم ـ عمومًا ـ ذكر قصة مولد النبيّ ﷺ، والتعريف بآبائه الكرام، ثم صفته، ثم أخلاقه وبعض تعاليمه، ثم أهم وقائع سيرته الزكيّة ﷺ، ولم تكن تخلو تلك الكتب من الوعظ والإرشاد، والدعاء الصالح للمسلمين، متباينة في تلك الموضوعات اختصاصًا وترتيبًا. كما تباينت في أسلوبها الأدبي، وزخمها العلمي والمعرفي، كل حسب الزمان والمكان، فكان بعضها آية في البلاغة والأدب، وبعضها صوفيًا فلسفيًا، وبعضها حديثيًا أثريًا.

وقد اعتنى عمّ المؤلف حافظ المغرب وشيخ الإسلام الشيخ عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتاني (ت: 1382/ 1962) بجمع كل ما ألّف في المولد النبويّ الشريف، في كتابه «التآليف المولدية» الذي نشر في مجلة «الزيتونة» في عدّة أعداد ابتداء من شهر ربيع الأول سنة 1356 الموافق لشهر ماي 1937، وذيّل عليه واستدرك المحقّقان في مقدمة هذا الكتاب عشرات المؤلّفات الأخرى. وبالاطّلاع على هذه المراجع يظهر مدى اعتناء علماء الإسلام منذ القرن الرابع بهذا المجال الداخل في مجال علوم السيرة النبويّة الكريمة.

ولا بدع أن الاعتناء بالمولد النبويّ الشريف على تلك الصورة جرّ إنكار بعض العلماء على مدى التاريخ، نظرًا لأنه لم يعرف اشتهارًا في الصدر الأول من القرون الثلاث الفضلى، بله في حياة النبيّ الكريم ﷺ، الأمر الذي فتح نقاشًا قديمًا وواسعًا بين علماء الإسلام سابقًا وحديثًا حول مشروعيّة الاحتفال بالمولد النبويّ الكريم، بين قائل ببدعيّته، وقائل بجوازه واستحبابه.

وأجدني في هذه العجالة ملزمًا بذكر الاستدلالات التي رشح بها المجيزون للاحتفال بالمولد النبوي الكريم تجويزهم لذلك، وإن كان العديد من كتّاب سيرة المولد الكريم قد ضمنوا كتابهم فصلاً في مشروعيّة الاحتفال به؛ خاصّة جدنا شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني في صدر مولده: «اليمن والإسعاد في مولد خير العباد».

والأصل في الاختلاف في حلية الاحتفال بالمولد الشريف هو: هل كل ما أحدث بعد النبيّ ﷺ بدعة غير جائزة، أم أنه تجري عليه الأحكام التشريعية الخمسة: الإباحة، والاستحباب، والوجوب، والكراهة، والتحريم؟.

فأمّا الفريق المانع؛ فيرى أن كل ما أحدث بعد النبيّ ﷺ مما له صفة دينية، ولم يكن مصلحة مرسلة، إحداث في الدين وبدعة غير جائزة؛ لقول النبيّ ﷺ فيما رواه عنه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». وفي حديث آخر: «ألا إن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وفي آخر: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ». وأن المولد مما يتديّن به إلى الله تعالى، ويتخذ صفة شرعية، ولم يكن في العصر النبويّ الكريم ولا القرون المثنى عليها بالحديث الذي رواه الشيخان عن عمران بن حصين: «خير أُمّتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وأما الفريق المجيز؛ فقال: نصّ الحديث على أن من أحدث في الدين ما ليس منه فهو رد. أمّا ما أحدث فيه ما هو منه، فهو ليس مردودًا؛ فالاعتبار في الحادث: هل له أصل يجيزه من الشريعة الإسلامية أم لا، فقد تطوّر الزمان، وتطوّرت الحياة، فزيد فيها ما هو متّصل بشعائر الدين من تعليم، وجمع، وتفريع مما أجمعت الأُمّة على جوازه، ولولا جوازه لما صلح الإسلام لكل زمان ومكان، واتّصف بالكمال في الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: الآية 3]؛ كتدوين الكتب على الحالة التي هي عليها الآن، وفتح المعاهد الدينية المختصّة، وتفريع العلوم الشرعيّة، وإحداث مجالس القضاء والفتيا، وغير ذلك مما لم يكن عينه في حياة النبيّ ﷺ، وأجمعت الأُمّة على جوازه، وقام تحت أصل: ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب.

ولذلك، فإن كل ما أحدث بعد النبيّ ﷺ ينقسم تحت أمرين:

أمر لا علاقة له مباشرة بأمور الدين (على تحفظنا في هذه العبارة فكلّ شيء له تعلق بالدين، لاشتمال النيّة والمصلحة والمفسدة عليه)، كالطرق والمعمار، والأنظمة الإدارية الحديثة.

أمر له مساس مباشر بالدين، كالمعاهد العلمية، والتأليف، والاحتفال بالمواسم الدينية... وما هو في حكم ذلك.

أما القسم الأول؛ فلا خلاف في إباحته.

أما القسم الثاني؛ فيقسم على الأقسام الخمسة من حيث موافقته ومخالفته للشريعة الإسلامية، نصًا، وفلسفة، ومقاصد.

فما كان له تخريج على حكم سابق؛ خرج عليه (كالقياس مثلاً)، وما كان له تخريج من السيرة النبوية والحديث الشريف حكم بحكمه، وما كان له تخريج على حسب المصالح والمفاسد حكم بحكمها، وما كان مدعاة إلى منكر، أو لا يتمّ واجب أو مستحبّ إلا بمقتضاه حكم بحكم ملازمه.

ومن هذا الأصل تحدّث المجيزون على جواز الاحتفال بالمولد النبويّ الشريف، وخرّجوا جوازه على عدّة أمور:

فمن الحديث النبوي الشريف: ما رواه مسلم والترمذي وأبو داود عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سُئِل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بُعِثت، أو: أنزل عليّ فيه»، فجعل النبيّ ﷺ لذلك اليوم خصيصة، وهي: الصيام. فجاز تخصيصه بفعل الخيرات وإطعام الطعام، والدعوة إلى الله تعالى، والحضّ على السرور بالسيرة النبوية، والفرح بظهور النور المحمدي ﷺ، وكل ذلك من جنس الصيام فرحًا بمولده ﷺ، فكلّه عبادة حمد الله تعالى بها على فضل منه لنا.

والأحاديث بمراعاة المناسبات عديدة؛ إذ من أصول الديانات مراعاة الأوقات والأزمنة والأمكنة التي يحدث فيها الخير أو الشرّ. ومن ذلك حديث القاتل مائة نفس، والذي أمر بالخروج من القرية التي ظلم فيها. ومنه: أثر قول اليهودي لعمر رضي الله عنه: «إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتّخذناها عيدًا»، فقال عمر: «إني لأعلم حيث أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أُنزلت: يوم عرفة، وإنّا والله بعرفة»، قال سفيان: وأشكّ كان يوم الجمعة أم لا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: الآية 3]، رواه الشيخان بألفاظ متقاربة. ولا شكّ أن يوم العيد الشرعي هو يوم العاشر من ذي الحجّة لا التاسع، فكان التاسع عيدًا كذلك بمفهوم عمر رضي الله عنه.

كما خرّجها العلماء كذلك على اعتبار الأصل في الفرح والعيد والإباحة، وكل مباح يتقلّب في الأحكام التشريعية إلى الأقسام الخمسة بحسب ما يلازمه من النيّة، وأن الفرح المباح إذا اقترن بمحبة النبيّ ﷺ والتعلق به؛ صار مندوبًا ومستحبًا، ومحمودًا.

وخرج على أن جمهور المسلمين، خاصة العلماء والملوك في عزّة الإسلام؛ كانوا على ذلك من حيث الاحتفال بالمولد النبويّ الشريف، في المشرق والمغرب، ولم ينكر عليهم إلاّ الشاذ. وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: الآية 115]، وفي الحديث: «من شذّ شذّ في النار»، و: «لا تجتمع أُمّتي على ضلال». ولا يقال: اتّفق أهل الباطل، وبقي أهل الحقّ قلة؛ لأن من ضمن المتفقين على جواز الاحتفال أئمة الإسلام، ودعاة صالحون مجاهدون؛ كجلّ أو جميع علماء المغرب عبر التاريخ مثلاً.

على أن الله تعالى في القرآن الكريم ندبنا إلى التذكير بأيامه سبحانه، وهي: الأيام التي تعدّ معالم للشريعة الغرّاء، فقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية 5]، قال ﷺ فيما أخرجه مسلم (2380) عن أُبيّ بن كعب: «وأيام الله: بلاؤه ونعماؤه».

وعلى هذا الاستدلال؛ يخرج أمر الاحتفال بالمولد النبويّ الشريف من قسم الخلافي إلى قسم المندوب اتّفاقًا، بل ظاهر الآية يقتضي الوجوب، لتضمّنها لفعل الأمر، ولا أعزّ في أيام الله تعالى من يوم إيجاده لمن فرّق به الحقّ من الباطل، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور، فكان بذلك الاحتفال بيوم المولد الشريف طاعة لله تعالى، واقتفاءً لأمر القرآن الكريم.

ولا يقال: لم يرد في السنّة المباركة ما يقتضي الاحتفال بالمولد ولا غيره، فمفهوم ما فهمتموه من الآية غير مفهوم.

لأن الآية ـ أولاً ـ متضمّنة للمعنى، ولا قرينة على دفع مفهومها. ثانيًا: وجود نصّ الآية بذلك يدلّ على وجود نوع من احتفال في حياة النبيّ ﷺ ومن بعده بتلك الأيام، فلا يعقل أن يأمر الحق تعالى بأمر ولا يقوم به الرعيل الأوّل من المسلمين، بدليل وصول أخبار ولادته ﷺ إلينا، وهي قبل مبعثه، ولا ينبني عليها حكم شرعي، فلولا اعتناء خاص لما وصلت أخبارها إلينا. والقرآن يؤرّخ للسيرة النبوية كما لا يخفى على منغمس فيها. وثالثًا: ورد ما يدلّ على الاعتناء بذلك اليوم المبارك من طرق النبيّ ﷺ كما سبق أعلاه، فلم يبق إلا دفع النصوص بالصدور.

غير أن الاحتفال بالمولد الشريف ينبغي أن يكون احتفالاً شرعيًا، دينيًا، وعظيًا، دعويًا؛ لا أن يكون احتفال منكرات ومجون، وإسراف وبذخ في غير

منفعة للمسلمين؛ وإلا، انقلب من الندب والاستحباب إلى حكم ما يشوبه من ذلك.

كما أنه لا ينكر على من لم يحتفل بالمولد الشريف؛ لوجود الخلاف فيه، ولا ينكر إلاّ على ما أجمعت عليه الأمّة كما عليه جمهور الفقهاء. نعم: أصل الفرح والسرور، وتخصيص اليوم المذكور بالعبادة أو فعل الخير مما لا يختلف فيه إلاّ جاهل، فواجب على كل من في قلبه ذرّة من إيمان الفرح بهذا اليوم، سواء بالعبادة لمن مشى مع ظاهر الحديث، أو بالاحتفال وجميع الناس لقراءة السيرة النبويّة وذكر الشمائل المحمدية.

ولذلك اعتنت الطريقة الكتانية والكتانيون بالاحتفال بهذا اليوم الشريف، وخصّصت الطريقة الكتانية ليلة السادس من ربيع الأول للاحتفال به، على مذهب الإمام الشريف عبد العزيز بن مسعود الدبّاغ رضي الله عنه، وكان جدّ جدّنا الإمام محمد بن جعفر الكتاني يحتفل في يوم المولد الشريف ما لا يحتفل في أعراس أبنائه، ويفتح منزله طول الشهر لإطعام الطعام، وبثّ العلم الشريف، خاصة عن طريق شرح قصيدتي البردة والهمزية، أو سرد كتاب «الشمائل النبويّة» للترمذي وغير ذلك على العامّة والخاصّة، وكذلك كان جلّ علماء الكتانيّين رضي الله عنهم، وكان العالم العارف مولاي عثمان بن محمد الكتاني رضي الله عنه يكاشف يوم المولد الشريف بسماع زغردات الملائكة!.

هام الورى في معانٍ أنت جامعها فكلّهم لك عشّاق وما علموا

ومن هنا، ارتأيت إعادة طباعة هذا المولد الشريف، والذي كان طبع سنة 1395/ 1975 بمطبعة الأمنية بالرباط، وهو مولد تعتمد الزوايا الكتانية قراءته في يوم المولد الكريم، فننشره الآن نشرًا للعلم، وتعميمًا للسنّة الصحيحة الغرّاء البلجاء، ليعتني الناس بقراءتها بدل الموالد المحتوية على قصص لا أصل لها في كتب السنّة، وخدمة لجدّي الإمام أبي الهدى ونجليه الذين تربطني بهم علاقة الروح وعلاقة النّسب.

ولم أقم في المتن بشيء، فقد اكتفيت بعمل المحقّقين جزاهما الله خيرًا، إنما أضفت ترجمة مقتضبة للمؤلّف، عن كتابي: «النجم الثاقب بذكر من مضى من علماء الكتانيّين وصلحائهم وذوي المناقب».

ترجمة المؤلف: محمد الباقر بن محمد الكتاني[1]:

من شيوخ الطريقة الأحمدية الكتانية، بل يعدّ مؤسسها الثاني، ومن نبغاء المغرب وعلمائه، ومناضليه ضدّ الاستعمار الفرنسي، محدث حافظ، فقيه أثري، إمام مشارك في جلّ العلوم الشرعيّة، مؤرّخ نسّابة، أديب ناثر شاعر، صالح مصلح، أجمل أهل وقته خَلْقًا وخُلُقًا. أبو الهدى.

أخذ بفاس، والرباط وسَلاً اللتين انتقل إليهما عام 1338 ـ 1340، عن أعلامها، كجدّه أبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني، وشقيقه محمد المهدي بن محمد الكتاني، وعمّه عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتاني، وابن عمّه محمد الطاهر بن الحسن الكتاني، وأحمد بن الخياط الزكاري، ومحمد بن رشيد العراقي، ومحمد بن أحمد ابن الحاج السلمي المرداسي، وأبي شُعيب الدكالي، ومحمد المدني بن الحسني، ومحمد المكّي البطاوري. . . وغيرهم، حتى نبغ في مختلف العلوم وأتقنها.

وحجّ عامي 1337 و1358، وأخذ عن أعلام الحجاز ومصر؛ كالشيوخ عمر بن حمدان المحرسي، وعبد القادر بن توفيق الشلبي، وبدر الدين البيباني، وبخيت المطيعي، ومحمد بن إبراهيم السمالوطي، وتدبج مع الشيخ زاهد بن حسن الكوثري. . . وغيرهم.

كما أخذ عنه بالمشرق والمغرب جملة من أعلامهما؛ كنجليه عبد الرحمٰن ومحمد، وأبناء عمّه: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني، ومحمد الناصر لدين الله ابن محمد الزمزمي الكتاني، ومصطفى بن حسن الجعفري الإسكندري، وعبد الحميد الشيمي، وعبد الله بن عبد القادر التليدي، وعبد الله الهرري وغيرهم.

---

(1) المراجع: «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد»، «إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع» (2/ 584)، «سل النصال للنضال بالأشيخ وأهل الكمال» (197)، «من أعلام الفكر بالعدوتين الرباط وسلا» (2/ 101)، «من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر» (ص 152)، «تشنيف الأسماع بشيوخ الرواية والسماع» تأليف محمود سعيد ممدوح، «السبحة النورانية في ذكر ألف من المؤلفات الكتانية وتراجم أصحابها ذوي المزايا السامية» (ص 88)، «لحظة الحسان، بترجمة الإمام محمد الباقر الكتاني»، و«نصب المآثر لترجمة جدي الإمام محمد الباقر» كلّها من تأليف د. محمد حمزة بن علي الكتاني. خ.

وتصدّر لتربية المريدين بالزاوية الكتانية بِسَلاَ، ولمشيخة الطريقة الكتانية بعد تنازل شقيقه وشيخه الشيخ محمد المهدي له زهدًا فيها عام (1356)، ولتدريس العلم بالجامع الأعظم منها، ومسجد الشراطين، ومسجد سيدي أحمد حجي، والزاوية الكتانية بالرباط وسلا، ومختلف الزوايا الكتانية بالمغرب.

وكان طول فترة الاستعمار الفرنسي ممنوعًا من الرحلة إلى الأرياف والقبائل من أجل الدعوة إلى الله تعالى، خشية أن يدعو الناس للثورة والجهاد ضدّ الاستعمار. وبالرغم من ذلك، فقد كان له ـ عن طريق مريديه ورسائله ـ دورٌ مهمٌ في مقاومة الاستعمار الفرنسي، سواء عن طريق مقاطعة بضائعه، وعن طريق المقاومة السلمية والمسلحة.

كما رفع عرائض ضد الاستعمار الفرنسي منادية بالاستقلال والدفاع عن البلاد، وشارك بمحاضراته ودروسه ومؤلّفاته في هذا الاتجاه.

كما شارك الشيخ محمد الباقر الكتاني في عدّة جمعيات علمية ودعوية؛ منها: جمعية علماء الإصلاح والإرشاد بسلا، ورابطة علماء المغرب التي كان أحد مؤسسيها الأوائل، وعضو مجلسها الأعلى، بل كان جمعها التحضيري الأول بمنزله بسلا، ودعا من خلال مؤتمرها التأسيسي بنزل باليما بالرباط عام 1382/ 1962 إلى نبذ القانون الوضعي، وتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد.

كما ربط الشيخ محمد الباقر الكتاني علاقات وطيدة مع زعماء الإصلاح الإسلامي بالمشرق، وبعض ملوكه؛ كـ: الملك إدريس السنوسي، والشيخ محمد زكي إبراهيم، والأستاذ سعيد رمضان، كان لها دور مهم في تنسيق العمل الدعوي الإسلامي بين المشرق والمغرب. كما كان منزله مضافة يأوي إليها خيرة الوطن من العلماء والدُعاة المخلصين، ومن يَفِدون عليه من أعلام المشرق.

وللشيخ محمد الباقر الكتاني دور مهم في إحياء الطريقة الأحمدية الكتانية، وفتح فروع لها بالمشرق، والحفاظ على تراثها من الضّياع، وجمع رسائل وتراجم ومؤلّفات شيوخها، وفتح زوايا لها بالمغرب، والتعريف بعلومها وأدوارها الإصلاحية. كما كان له دور مهم جدًا في توضيح عبارات مؤسس الطريقة الكتانية، وتقريب معناها للعموم، وله في سبيل ذلك مئات الرسائل، وعشرات المؤلفات. إضافة إلى أذكار وتوسّلات أضافها لأذكار الطريقة الكتانية لم يغفل فيها مآسي الأمة الإسلامية، بحيث يعد مجدّد الطريقة الكتانية، بل مؤسسها الثاني، ولذلك كانت تنسب إليه الطريقة

الكتانية الباقرية التي هي أقرب في عباراتها لفهم العامّة، وهي صورة مبدعة من الطريقة الأحمدية الكتانية.

كان الشيخ الباقر فقيهًا أثريًا، يدعو إلى العمل بالحديث، ونبذ التعصّب المذهبي، وكان يميل إلى الاجتهاد ويعمل به، كما كان له اعتناء كبير بالحديث وعلومه، حافظًا له، ساردًا لكتبه، خادمًا لها، بحيث يعد حافظ المغرب وأحد مسنديه في القرن المنصرم بعد عمّه الشيخ عبد الحيّ الكتاني. وقد دافع عن أفكاره في جلّ مؤلّفاته وكتبه.

كما يعدّ أديبًا مبرزًا من أدباء المغرب المعاصرين، سواء بنثره الذي ينحو فيه منحى التشبيه والسَّجع، وأشعاره التي تبلغ خمسة عشر ألف بيت ضمنها المدح والرثاء، والحنين وغيرها من ضروب الشعر.

ويعدّ أحد أهم مؤرّخي المغرب؛ عن طريق عشرات المؤلفات التي ضمنها جوانب مهمة من التاريخ وتراجم الرجال، بل يعد أحد مؤرخي فترة ما قبل الحماية الفرنسية القلائل، خاصة من الوجهة السياسية.

وللشيخ محمد الباقر روح إسلامية ووطنية جيّاشة، وجرأة في إبداء آرائه والانتصار لها، لا يخاف في الله لومة لائم.

كما كان وليًا صالحًا، عارفًا بالله تعالى، قوّامًا لليل، صوّامًا للنهار، له كرامات عديدة يحفظها أهله ومحبّوه. وكان شديد الجمال بحيث كان يتلثم في شبابه، شديد الشَّبه بوالده الشيخ أبي الفَيْض، هيّنًا لطيفًا، أحسن أهل زمانه خَلْقًا، وخُلُقًا.

ترك تآليف تناهز المائتين، في التفسير والفقه والحديث، والتصوّف والتاريخ والأنساب والسياسة؛ منها: «اختصار الموطأ»، واختصار «جامع الترمذي»، و«طبقات الكتانيين طريقة» في ثماني مجلدات، و«دائرة العلوم والمعارف الكتانية» في ثماني مجلّدات، ترجم فيها والده وذكر علومه، و«التاج المرصّع بالجوهر الفريد» في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد في ثلاثة مجلدات، و«ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» طبعت في مجلد، و«الكواكب الزاهية في أعلام الشعبة الكتانية الوافية»، و«شرح الورد الكتاني»، و«إيقاف النبلاء بتراجم جماعة من عالمات النساء»، و«بدائع النفاس، في اتّصالنا بالفهارس»، و«التبيان لفضائل القرآن»، و«الأجوبة الفقهية والحديثية والصوفية». . . وغيرها.

توفي فجأة بسبب مرض القلب بسلا في 29 شعبان عام 1384/ 1964، وشيّع في جنازة مهيبة حضرها العلماء والقضاة ومشايخ الطرق الصوفية، والسياسيون، إلى مرقده الأخير بالزاوية الكتانية بسلا.

وكتبـــه

الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني

الرباط 26 ذي الحجة 1424

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل مولد سيّد المرسلين، بشير خير وسعد على العالمين. والحمد لله الذي يسّر ببعثته أسباب الطمأنينة في الظاهر والباطن لجميع خلقه، وهو السّميع العليم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم.

فسبحانه من إله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكَساه بجوده وكرمه حُلَل التكريم، وأفاض عليه ينابيع الكرم الإلهيّ، وعمّه بالجود غير المتناهي، وعطّر روحه بعطر الإيمان، ومتّعه بكمالات أهل الإيقان، وربّاه بهدى الكتب السماوية، وأكرمه بالدخول إلى جنّة المعارف الدانية، وأوجب عليه الإيمان بسيّد الأصفياء، ورسول الرسول وخاتم الأنبياء.

أشهد أنه الله الذي لا إله إلاّ هو الواحد الأحد، الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الفرد الصمد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا دافع لما قضى ولا مانع لما أعطى، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، أرسل للعالم أصلح رجل، من أصلح بيت، في أصلح زمان، لرسالة النجاة المنتظرة من مختلف طبقات الأكوان، هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويزكّيهم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، له الخلق والأمر، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: الآية 14].

وأشهد أن سيّدنا ونبينا ومولانا محمّدًا عبده ورسوله، ومصطفاه من خلقه وحبيبه وخليله، أرسله للناس كافّةً بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: الآية 158]، اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا

ومولانا محمد حامل ألوية الإرشاد والإسعاد، ومصدر قواميس المعارف والأمداد وحجّة الله على الوجود، وآيته الكبرى في عالمي البطون والشهود، ونور الأنوار اللامعة وسرّ الأسرار الساطعة، ومطهّر القلوب من الأدران، ومنوّرها بهدي القرآن، ومتمّم مكارم الأخلاق، وأفضل المخلوقات على الإطلاق، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وجامع فضائلهم التي أنعم عليهم بها بارىء العالمين.

لكلّ نبيٍّ في الأنام فضيلة وجملتها مجموعة لمحمد

وعلى آله وأصحابه حُماة الدين، الهادين المهتدين، وسائر التابعين إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فقد سألني جماعة من الإخوان، عاملني الله وإياهم بالإحسان، أن أكتب لهم قصة المولد النبوي المحمدي، تيمّنًا واهتداء بالرسول الكريم الهادي، بأسلوب يهيج القلوب إلى حضرة علاّم الغيوب، ويشوّق الظمآن للارتواء من بحور العرفان، فأجبت طلبتهم، وأسعفت رغبتهم، معتمدًا على الكريم الوهّاب ومستغفرًا من ذنوبي إلى الملك التوّاب، ومستعجلاً ورود الأمداد وسالكًا طريق السادة الأمجاد، وسمّيته روضات الجنّات، في مولد خاتم الرسالات، ورتّبته على ثلاث وعشرين روضة على عدد سنّه ﷺ من حين البعثة إلى حين الوفاة، وأسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم، أن يرزقه القبول وينعم على قارئه وسامعه بغاية المنى ونهاية السول آمين.

ألا غنيا لي قبل أن نتفرّقا وهات اسقني صرفًا شرابًا مروقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجا وكاد قميص الليل أن يتمزّقا

❊ ❊ ❊

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزنة ما علمت).

الروضة الأولى

في أوليَّة النور المحمدي

كل مؤمن أيها الإخوان، يعلم أن الله سبحانه كان موجودًا قبل خلق الأكوان، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كلّ ولا بعض، ولا يقال متى كان ولا أين كان، ولا كيف كان، كوّن الأكوان ودبّر الزمان، لا يتقيّد بالزمان، ولا يختصّ بالمكان، ولا يلحقه وهم، ولا يكفيه عقل، ولا ينحصر في الذهن، ولا يتمثّل في النفس، ولا يتصوّر في الوهم، ولا يتكيّف في العقل جلّ عن الشبيه والنظير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11].

ولمّا أراد أن يعرف وجوده وتوحيده، خلق نور النبيّ ﷺ، وخلق أنوار النبيّين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وخلق العرش والقلم، واللوح والكرسي والملائكة والسمٰوات والأرضين والجنّة والنار، والجنّ والإنس، وباقي أصناف الخلق، وخصّ النور الأحمدي بالنبوّة كما أخبر بذلك صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث سيّدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إن الله عزّ وجلّ كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أمّ الكتاب، أن محمدًا خاتم النبيّين».

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن سيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إني عند الله لخاتم النبيّين وإن آدم لمنجدل في طينته».

وأخرج أحمد أيضًا والبخاري في تاريخه، وأبو نعيم في حليته، وغيرهم بسند قويّ كما في الإصابة عن سيدنا ميسرة الفجر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

قال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله كما في المواهب:

«قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فالإشارة بقوله ﷺ: «كنت نبيًا» إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها خالقها ومن أمدّه الله تعالى بنور إلٰهي، فحقيقة النبيّ ﷺ قد آتاها الله وصف النبوّة من قبل خلق آدم؛ إذ خلقها متهيّئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبيًا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخّر جسده الشريف المتّصف بها».

❊ ❊ ❊

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الثانية

في بعض مزايا الحضرة النبويّة والحقيقة الأحمديّة

وقد خصّ الله سبحانه وتعالى نبيّه ﷺ بخصائص سنيّة، ومزايا لدنيّة.

فمنها: أنه جعله نور الوجود، والسبب في كل موجود.

أخرج الحاكم في المستدرك، عن سيدنا عمر رضي الله عنه رفعه: «إن آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد مكتوبًا على العرش، وإن الله تعالى قال لآدم: لولا محمد ما خلقتك».

وروى أبو الشيخ في طبقات الأصفهانيّين والحاكم وصححه عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: «أوحى الله إلى عيسى: آمِن بمحمد ومُرْ أمّتك أن يؤمنوا به؛ فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنّة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله، فسكن».

ومنها: أنه أخذ العهد على حقائق الأنبياء والمرسلين آدم فمن بعده: لَئِن بعث محمد ﷺ لتؤمنن به ولتنصرنّه، والأخذ على المتبوع أخذ على التابعين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: الآيتان 81، 82].

أخرج ابن جرير عن سيدنا عليّ رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ [آل عمران: الآية 81]، يقول: «فاشهدوا على أممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم، فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: الآية 82]، هم العاصون في الكفر».

قال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله كما في الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي رحمه الله:

«في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتعظيم قدره العليّ ما لا يخفى، وفيها مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلّهم من أُمّته، ويكون قوله ﷺ: «وبعثت إلى الناس كافّة»، لا يختصّ به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضًا. ويتبيّن بهذا معنى قوله ﷺ: كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد».

بل قال سيّدنا الإمام الوالد، عليه رضوان الله، في بعض إملاءاته:

«إنه صلّى الله عليه وآله وسلّم مبعوث إليهم حقيقة في عالم الغيب، وإن الله تعالى أجلسه في عالم الغيب على كرسي الفخار، ثم جمع الأنبياء والرُسل قاطبةً، وأجلسهم بين يديه وأخذ له البيعة على جميعهم، وأعطوه العهود والمواثيق، بمحضر منه ﷺ، ثم شهد عليهم بذلك جلّ جلاله، فقال: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: الآية 81]، وهذا هو نهاية التعظيم والتكريم والرّفعة، فكان ﷺ نبيّ الأنبياء، ورسول الرسل، وقدوة الجميع».

ومنها: أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل من قال: بلى، لما وقع الإشهاد من بني آدم، بربوبية الحق سبحانه وتعالى، في عالم الذرّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: الآيتان 172، 173].

أخرج عبد بن حميد والحكيم والترمذي في نوادر الأصول، والطبراني وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه، عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «لما خلق الله الخلق، وقضى القضيّة، وأخذ ميثاق النبيّين، وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى، وكِلتا يدي الرحمٰن يمين، فقال: يا أصحاب اليمين، فاستجابوا له، فقالوا: لبّيك ربّنا وسعديك، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية 172]» الحديث.

وروى أبو سهل القطّان في أماليه، عن سهل بن صالح الهمداني، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الملقّب بالباقر: كيف صار سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث؟ قال: «إن الله تعالى لما أخذ الميثاق ﴿مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية 172]؟ كان سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم أول من قال: بلى، ولذلك صار يتقدم الأنبياء، وهو آخر مَن بُعِث».

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الثالثة

في سرّ إيجاد الخلق وبعثة الرسل عليهم السلام

قد أفصح الله سبحانه وتعالى عن السرّ في إيجاد الخلق، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: الآيات 56 - 58].

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن سيّدنا ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية 56]، قال: «ليقرّوا بالعبودية طوعًا أو كرهًا».

وأخرج ابن جرير أيضًا وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، وعنه أيضًا، في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾، يقول: الشديد.

ولمّا كان الخلق محتاجين لمن يعرّفهم الله، ويدعوهم لاتّباع شرائعه، ويتلو عليهم آياته، ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة: «ويذكرهم بالعهد الذي أخذه الله على أرواحهم في عالم الذرّ، ويحذرهم من نقضه، ويؤاخي بينهم أخوّة ذاتية لا ينبغي لهم أن يتفرّقوا بعدها، ويدعوهم للفرار من عالم الكثافة، والفساد والمجلى الضيق، إلى عالم اللطافة والسكون والإطلاق، ويحضّهم على الثبات في باب الله، وعدم التزحزح عنه، ويبيّن لهم طريق الحلال والحرام، والنافع والضارّ والخير والشرّ، ويحذّرهم من النفس إذا جهلت، والأخلاق إذا ساءت، وينهاهم عن الجدال والمخاصمة، ويرغّبهم في صلة الرحم، وستر عورات الناس، وترك ما لا يعني، والتعاون على البرّ ما استطاعوا، والفرار من هواهم إلى ربّهم جلّ جلاله، وعظم كماله، وينادي وسطهم: أن لا ضرر أضرّ من اللّسان، ولا نار أحرّ من الغضب ولا شرف أرفع من اصطناع المعروف، ولا لباس أحسن من التقوى»(1).

بعث الله أنبياءه الكرام، ورسله العظام، بعد أن عرفهم بكمالاته، وأطلعهم على معاني أسمائه وصفاته، فشمّروا عن ساعد الجدّ والاجتهاد، معدّدين محاسن العقيدة والنظام للعباد، فاطمأنّت قلوب ذوي البصائر النورانية، وارتفعت الحُجُب عن العقول الظلمانية، وتشبّث الموفقون بأذيال رسالة السماء، وعضّوا بالنواجذ عليها في السرّاء والضرّاء، فسعد من أراد الله سعادته، وشقي من قدر القوي شقاوته.

وقد نبّه القرآن على هذا السرّ بقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: الآية 165]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: الآية 13]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية 131]، وقوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: الآية 213].

---

(1) ما بين ال ين مقتبس من رسالة بعث بها الشيخ الإمام الوالد رضوان الله عليه لإخوانه الكتانيين.

فلولا أنبياء الله ورسله الكرام، لكان الناس في نزاع وخصام، يشنّون الغارة على بعضهم لأوْهى الأسباب، ويصبحون ويمسون كالوحوش في الغاب، فينقطع بذلك السير في الأرض، وتتعطّل المنافع والتجارات في الطول والعرض.

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الرابعة

في جعل النور النبوي في ظهر سيدنا آدم وفضل العرب وتقلّبه ﷺ في الساجدين

وقد اقتضت حِكَمه تعالى الكثيرة، وأسراره الشهيرة، أن يفتتح دورة عالم الأجسام بسيدنا آدم عليه الصّلاة والسلام، فلما خلقه في أحسن تقويم، وواجهه بكل ضروب التكريم، وعلّمه أسماء جميع المخلوقات، وأمر الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحيّة، لا سجود عبادة، كسجود إخوة سيدنا يوسف عليه السلام له؛ فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وسيدنا آدم كالقبلة، ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية 34]، خلق له سيّدتنا حواء، لتكون زوجًا له، خلقها من ضلع ـ بكسر المعجمة وفتح اللام ـ من أضلاعه اليسرى، وهو نائم، وسمّيت حواء لأنها خلقت من حيّ، وأسكنهما جنّته وأباح لهما نعيمها.

وبعد حادثة الأكل من الشجرة الشهيرة، أهبطهما إلى الأرض لعمارتها، والشروع في تطبيق البرنامج الذي أعدّه لها، وأعظم خصيصة خص الله بها سيدنا آدم هي جعل النور المحمدي في ظهره، فكان لشدّته يلمع في جبينه، فيغلب على سائر نوره، ثم انتقل منه إلى سيدنا شيث، وكان أجمل أولاده، وأشبههم به، وأحبّهم إليه، وأفضلهم وأعلمهم، ثم لم يزل ينتقل من الأصلاب الطاهرة، إلى الأرحام الطاهرة، إلى أن وصل إلى سيدنا عبد المطلب، وولده سيدنا عبد الله.

أخرج الطبراني في الأوسط عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم، فاختار منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل خيارًا من خيار، ألا من أحب العرب، فبحبّي أحبّهم، ومن أبغض العرب، فببغضي أبغضهم».

وأخرج مسلم في صحيحه عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وأخرج البخاري في صحيحه، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «بُعِثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه».

وأخرج أحمد والطبراني في الأوسط، والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل، وغيرهم عن مولاتنا عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، عن جبريل عليه السلام قال: «قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد عليه الصّلاة والسّلام، ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم».

وأخرج البيهقي في سننه، عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات، عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه، أن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمّي لم يصبني من نكاح أهل الجاهلية شيء».

وأخرج الحاكم والطبراني عن حزام بن أوس رضي الله عنه، قال: هاجرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منصرفه من تبوك، فسمعت العباس يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، قال: قل، لا يفضض الله فاك، فقال:

من قبلها[1] طبت في الظلال[2] وفي مستودع[3] حين يخصف[4] الورق

(1) أي: الدنيا.

(2) ظلال الجنّة في صلب سيدنا آدم عليه الصّلاة والسلام.

(3) الموضع الذي كان فيه آدم وحواء في الجنّة.

(4) بالبناء للمفعول، يلزم الورق الذي بدأ سيدنا آدم وسيدتنا حواء يرتديانه بعد أن تهافت عنهما=

ثم هبطت[1] البلاد لا بشر أنـ ـت ولا مضغة[2] ولا علق[3]
بل نطفة تركب السفين[4] وقد ألجم نسرًا[5] وأهله[6] الغرق[7]
تنقل من صالب[8] إلى رحم[9] إذا مضى عالم بدا طبق[10]
حتى احتوى بيتك المهيمن[11] من خندف[12] علياء تحتها نطق[13]

= لباسهما النوراني لما أكلا من الشجرة، وهو ورق التين؛ كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما حتى صار كهيأة الثوب.

(1) نزلت في صلب آدم.
(2) قطعة لحم قدر المضغ.
(3) دم جامد لو صبّ عليه الماء حار لم يذب.
(4) اسم جنس سفين، أي سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، وجُمع لضرورة الشعر، أو هو مفرد مرخم.
(5) أحد الأصنام التي عبدها قوم سيدنا نوح، وهو الوارد في قوله تعالى حكاية عن قوم سيدنا نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: الآية 23].
(6) عباده.
(7) الذي عمّ الكفار زمن نوح.
(8) ظهر الرجل.
(9) موضع تكوين الولد.
(10) إذا مضى قرن ظهر قرن آخر سمّي القرن طبقًا لأن أهله طبق للأرض، أي يغطونها ثم ينقرضون. قال أبو عبيد: يقال مضى طبق وجاء طبق، أي مضى عالم وجاء عالم آخر.
(11) المحفوظ من كل نقص وهو اسم فاعل من هيمن.
(12) بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة، وهو في الأصل المشي بهرولة ثم جعل علمًا على امرأة إلياس بن مضر، وهي ليلى القضاعية، لما خرجت تهرول خلف بنيها الثلاثة: عمرو وعامر وعمر، حين ندّ لهم إبل فطلبوها فأبطؤوا عليها، ثم ضرب مثلاً للنسب العالي في كل شيء لأنها كانت ذات نسب.
(13) النطق جمع نطاق، وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض، أي نواح وأوساط منها شبهت بالنطق التي تشدّ بها أوساط الناس. ضربه مثلاً في ارتفاعه وتوسّطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال .اهـ ملخصًا من شرح الزرقاني على المواهب.

ومعاي الأبيات، هي:

كانت روحك يا رسول الله طيبة من قبل نزولها إلى الأرض وهي في صلب سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام في ظلال جنّة النعيم في الموضع الذي كان مقيمًا فيه بجانب عقيلته سيدتنا حواء عليها السلام. ذلك الموضع الذي ألزقا فيه الورق على جسميهما بعد أن أكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما.

ثم نزلت يا رسول الله إلى أرض الدنيا في الوقت الذي كانت فيه فارغة من البناء والتشييد قبل أن تصبح علقة ثم مضغة ثم بشرًا سويًا.

بل كنت يا رسول الله نطفة مستقرّة في صلب سيدنا سام ابن سيدنا نوح عليهما السلام حينما ركبا السفينة التي أنجتهما ومن معهما من الغرق الذي عمّ الكفار وعمّ الصنم الذي كان يعبد من دون الله.

وكنت يا رسول الله تنتقل من صلب ساجد إلى رحم ساجدة في كل عصر من عصور الدنيا، =

وأخرج البزار وابن سعد وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح والطبراني ورجاله ثقات، عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 219]، أن المراد بهم من صلب نبيّ إلى نبيّ (أي: ولو مع الوسائط)، حتى أخرجتك نبيًا، وهو أحد تفاسير الآية.

***

(طيِّب اللَّهمَّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللَّهمَّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللَّهمَّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللَّهمَّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الخامسة

في نسبه صلّى الله عليه وآله وسلّم

وفيما يلي نسبه صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة أبيه:

فهو سيدنا محمد ابن سيدنا عبد الله ابن سيدنا عبد المطلب ابن سيدنا هاشم ابن سيدنا عبد مناف ابن سيدنا قصيّ ابن سيدنا كلاب ابن سيدنا مرّة ابن سيدنا كعب ابن سيدنا لؤي ابن سيدنا غالب ابن سيدنا فهر ابن سيدنا مالك ابن سيدنا النضر ابن سيدنا كنانة ابن سيدنا خزيمة ابن سيدنا مدركة ابن سيدنا إلياس ابن سيدنا مضر ابن سيدنا نزار ابن سيدنا معدّ ابن سيدنا عدنان، وعدنان من ذرية سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

نسبٌ تحسب العلا بحلاه   قلدتها نجومها الجوزاء
حبّذا عقد سؤدد وفخار   أنت فيه اليتيمة العصماء

***

= التي يمضي فيها عالم ويخلفه عالم آخر.

وبقيت يا رسول الله هكذا إلى أن جمع بسرعة بيتك المحفوظ من كل نقص عبر القرون ما لم يجمعه بيت آخر، واحتوى من أنواع الشرف الشاهدة على فضله ما صيّره مرتفعًا على جميع البيوت ومتوسّطًا في عشيرته توسّطًا جعلها تحته بمنزلة أوساط الجبال يشدّ بعضها بعضًا.

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة السادسة

في زواج عبد الله بآمنة

ولقد كان نور النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وشرف ومجد وعظم، يلمع في جبهة والده سيدنا عبد الله، الرفيع الشأن العظيم الجاه. حتى إن جماعة من نساء قريش، رغبن في الاتّصال به رضي الله عنه، ليتمتعن بذلك النور الزاهر العظيم، والسرّ الباهر العميم، فرفض بإباء وشمم كل رغباتهنّ، ولقّنهن درسًا في وجوب التمسّك بالعفاف والطُهر لم ينسينه طوال أعمارهن.

ومعلوم أن للزواج حكمًا كثيرة وأسرارًا شهيرة، منها حفظ النوع الإنساني من الخراب والدمار، والفناء والاندثار، من أجل ذلك أوجبت الشرائع أن يكون من عائلتين لتصيرا كجسم معدودة أعضاؤه، يقوم كل عضوٍ بما فيه مصلحة الكل.

ولما كان سيدنا عبد المطلب ابن سيدنا هاشم، على علم بهذه الحكم وتلك الأسرار، بادر متوكّلاً على مولاه، ومفوّضًا أمره إليه في سرّه ونجواه، فخطب من سيدنا وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا بلا ارتياب، كريمته الدرة المكنونة، السعيدة الميمونة، المتغذية بلبان العفاف، المصونة صون الجواهر في الأصداف، سيّدتنا آمنة، وهي يومئذ أفضل امرأة في الدنيا نسبًا من جهة الأب، وموضعًا من جهة الأم لولده سيد شباب الدنيا، والبالغ في المجد الثريا، المؤهل لأبوة سيد المرسلين، من قبل رب العالمين، سيّدنا عبد الله، عليه رضوان الله، فتلقّاه بالقبول والإقبال، وأنشد منه لسان الحال:

سعد الزمان وساعد الإقبال ودنا المنى وأجابت الآمال

وانبرم بينهما النكاح على صداق مبارك، طيّبه الله لها، وأحلّه عليها وحضر سيدنا عبد الله فقبل النكاح وارتضاه، وألزمه نفسه وأمضاه وأكّد بالشهود، اتّباعًا لتعاليم بارىء الوجود، وحينئذ حصل الاتّصال الذي قدّره المولى، والامتزاج الذي شرّف الله به سيّدة نساء الدنيا، فاستقرّ النور الإلٰهيّ في رحمها الميمون ليقيم تسعة أشهر في

عالمه المكنون، قبل أن يشرق على هذا الوجود، فينير الجبال والسهول والأغوار والنجود.

قال القسطلاني رحمه الله في المواهب اللدنيّة:

«ذكروا أنه لما استقرّت نطفته الزكيّة، ودرّته المحمدية في صدفة آمنة القرشية، نودي في الملكوت، ومعالم الجبروت أن عطّروا جوامع القدس الأسني، ويخّروا جهات الشرف الأعلى وافرشوا سجادات العبادات، في صفف الصفاء لصوفية الملائكة المقرّبين أهل الصدق والوفاء، فقد انتقل النور المكنون، لبطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون».

وروى الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن الإمام الصالح نادرة الإسلام، سهل بن عبد الله التستري المتوفّى سنة ثلاث وسبعين ومائتين رضي الله عنه، قال:

لما أراد الله أن يخلق سيدنا محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر تلك الليلة رضوان خازن الجنان، أن يفتح الفردوس، ونادى منادٍ في السمٰوات والأرض: ألاَ إن النور المخزون المكنون، الذي يكون منه النور الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن آمنة، الذي يتمّ فيه خلقه ويخرج إلى الناس بشيرًا ونذيرًا.

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة السابعة

في اصطحاب روحانيته صلّى الله عليه وآله وسلّم بجسمانيته وجملة من مزاياها

ولأول مرة اصطحبت روحانيته صلّى الله عليه وآله وسلّم بجسمانيته في بطن أمّه سيدتنا آمنة رضي الله عنها.

وبهذه المناسبة أقول كما قال سيدنا الإمام الوالد رضي الله عنه في السانحات الأحمدية:

(إن جوهرة روحانيّته صلّى الله عليه وآله وسلّم تربّت في حجر ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: الآية 41]، وتغذّت بلبان إني «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[1]، وتأدّبت بآداب «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[2]، وتعلمت في مكتب ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية 113]، في لوح ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: الآيتان 21، 22]، وتفقّهت في طروس سطور «كان خلقه القرآن»[3]، في جوامع «كنت نبيًا وآدم منجدل في طينته»[4]، وتهذّبت في مفاتيح ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: الآية 10]، وتمذهبت بإمدادات قوى ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: الآية 17]، وتمنطقت بمنطقة ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الآيتان 193، 194]، والتحفت بلحاف «من رآني فقد رأى الحق»[5]، وتوجت بتاج ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية 62]، وانتعلت بنعال «أدن مني يا محمد بنعليك»[6]، وألبست حلل ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية 54]، وعُمّمت بعمامة

(1) حديث شريف أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها، قالت: نهاهم النبيّ ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست كهيأتكم، إني أبيت يطعمني ربّي ويسقيني».

(2) صدر حديث أخرجه أبو سعد بن السمعاني في آداب الإملاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال السخاوي في المقاصد الحسنة عن سنده أنه منقطع، وفيه من لم أعرفه، وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن الزهري عن أبيه عن جدّه مرفوعًا: «أدّبني ربي ونشأت في بني سعد بن بكر». ورواه غيرهما أيضًا بأسانيد ضعيفة، ولكن له شواهد يطول ذكرها وبمجموعها بقوى. قال السخاوي في المقاصد: معناه صحيح.

(3) حديث شريف أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم عن عائشة.

(4) حديث شريف أخرجه أحمد وغيره عن العرباض بن سارية، بلفظ: «إني عند الله لخاتم النبيّين، وآن آدم لمنجدل في طينته». وأخرج أحمد وغيره عن ميسرة الفجر ـ بفتح الفاء وسكون الجيم ـ كما جزم به غير واحد أو بفتح الجيم، كما قيّده البخاري في التاريخ، قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيًا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»، راجع المقاصد الحسنة تستفد.

(5) حديث شريف أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه ـ بزيادة ـ: «فإن الشيطان لا يتزيّا بي»، وفي رواية: «لا يتكونني»، أي لا يتكوّن كوني بحذف المضاف ووصل المضاف إليه بالفعل.

(6) ذكر الزرقاني في المواهب أن الهمذاني في سبعياته، قال: ثبت في الحديث أنه ﷺ قال: «هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله: يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما، فقلت: يا ربّ إنك قلت لموسى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾=

﴿أَن تَوَلَّوْا﴾ [الأنبياء: الآية 57] عن معرفتك وهويتك وماهيتك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية 129]، عرفني وأحاط بجملي وتفاصيلي وعصبت بعصابة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: الآية 18]، ونشرت عليها ألوية ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قَ: الآية 15]، وتقدمها «أنا لهم ما ماتوا»، وتأخرها «أنا لهم ما عاشوا»، وتوسطها «أنا لهم في القبور»(1)، وأحاط بها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية 4].

* * *

(طيِّب اللَّهمَّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللَّهمَّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللَّهمَّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللَّهمَّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الثامنة

في إشراق شمسه صَلّى الله عليه وآله وسلّم على هذا الكون

وأثناء حمل والدته الطاهرة به صلّى الله عليه وآله وسلّم، توفي والده الطاهر، كما أخرجه الحاكم في مستدركه عن قيس بن مخرمة رضي الله عنه، وقال إنه على شرط مسلم وأقرّه الذهبي، وكان ذلك بسبب مرض أصابه أثناء رجوعه من غزّة، مع مواطنيه القرشيين الذين كانوا ينظمون رحلات تجارية إلى مدن الشام، وقد اضطرّه مرضه هذا إلى المقام شهرًا بالمدينة المنوّرة التي كانت تسمى بيثرب إذ ذاك، عند أخوال أبيه بني عدي بن النجار، ولم يكد ينتهي الشهر حتى لحق بربّه، مأسوفًا عليه من الجِنّة والناس، عن خمس وعشرين سنة، ودُفن في دار التابعة وهو رجل من بني

= [طه: الآية ١٢]، فقال: يا أبا القاسم ادن مني لست عندي كموسى فإنه كليمي وأنت حبيبي»، قال الزرقاني: وتعقب بأن هذا باطل ولم يذكر في شيء من الأحاديث بعد الاستقراء التام. ويبدو أن الهمذاني لم يصرح بلفظ ثبت إلا إذا كان له أصل، والله أعلم.

(1) ورد في بعض أخبار الإسراء، مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح أنه ﷺ قال لربّه عزّ وجلّ لما أراد الانصراف: «يا رب لكل قادم من سفره تحفة، فما تحفة أمتي؟ قال الله تعالى: أنا لهم ما عاشوا، وأنا لهم ما ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور»، كذا في المواهب للقسطلاني بدون ذكر المصدر الذي اعتمد عليه ابن مرزوق ولم يذكره الزرقاني أيضًا.

عدي بن النجار، وقيل: دُفن بالأبواء وبينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً مما يلي المدينة، فترك موته في نفوس القرشيين والمدنيين عمومًا، وجدّه وزوجه خصوصًا، حزنًا عميقًا وأثرًا بالغًا.

ولم يزل صلّى الله عليه وآله وسلّم يقطع مراحل النموّ البشري في بطن أمّه، وفق إرادة الله عزّ وجلّ، بدون أن تشكو منه وجعًا في رأسها، ولا في بدنها، ولا مغصًا ولا ريحًا في بطنها، ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء، من حبّ بعض المأكولات والمشروبات والمشمومات وبغض بعضها، إلى أن حانت الساعة التاريخية الخالدة التي قدّر الله سبحانه وتعالى فيها إشراق شمسه صلّى الله عليه وآله وسلّم على هذا الكون، وهي الساعة الأخيرة من ليلة الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول الموافق لشهر أبريل واحد وسبعين وخمسمائة ميلادية بعد حادثة الفيل الشهيرة بخمسين يومًا. ففي تلك الساعة التي لم تشهد الدنيا مثلها ولن تشهد مثلها أبدًا وضعت سيّدتنا آمنة رضي الله عنها سيد الوجود المخصوص يوم القيامة بالمقام المحمود.

***

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة التاسعة

في السلام عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم

السلام عليك يا عين العيون

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا روح الأرواح

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك بلسان إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن أرسله الله رحمةً للبريّة
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا أستاذ البشرية
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا منقذ العالم من الضلالات والجهالات
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مجمع الفضائل والكمالات
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا صاحب الدين الحيّ والرسالة الخالدة
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مطهّر العقول من العوائد الفاسدة
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا أول داعٍ إلى الوحدة العالمية
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا محارب المبادىء الواهية
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مَن رغّب أمّته في طلب العلوم الدينية لتسعد في الدنيا والآخرة
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مَن دعاها للتسلّح بالعلوم الدنيوية لتعرف الأسرار الكونية
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مَن شرع لأمّته القواعد العامّة وترك للعلماء الأكفاء الاجتهاد
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مَن رفع مستوى المعيشة بين العباد
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم
السلام عليك يا مَن حقّق أسمى مظاهر العدالة الاجتماعية بين الأفراد والطبقات
صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن ضرب أروع الأمثال في الصدق والثبات

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن أتى العالم بشريعة جمعت محاسن الشرائع وزادت عليها

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن أتى العالم بحضارة جمعت محاسن الحضارات وفاقتها وسلمت من نقائصها

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن كافح الجهل والغشّ والبطالة

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن قاوم المرض والفقر والرّذيلة

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا رافع منار اللغة العربية

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا بطل المعارك الفكرية

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا بطل المعارك الاجتماعية

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا بطل المعارك الحربية

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا مَن شرع قانون المكافأة في الدنيا والمجازاة في الآخرة

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا داعية السلام والوئام

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك يا خاتم الأنبياء والرسل الكرام

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

السلام عليك بكل سلام أوجده الملك القدوس السلام

صلّى الله عليك وعلى آلك وسلّم

* * *

(طيِّب اللَّهمَّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللَّهمَّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللَّهمَّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللَّهمَّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة العاشرة

في جملة من العجائب الواقعة ليلة ميلاده صلّى الله عليه وآله وسلّم

أخرج البيهقي والطبري وابن عبد البرّ عن سيّدتنا أمّ عثمان فاطمة بنت عبد الله الثقفية رضي الله عنها، قالت:

لما حضرت ولادة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورًا، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع عليّ.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن سيدنا العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

«إني دعوة أبي إبراهيم (يعني قوله تعالى على لسان عبده سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [البقرة: الآية 129]، وبشارة عيسى (يعني قوله تعالى على لسان عبده سيدنا عيسى عليه الصلام والسلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصّف: الآية 6])، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أُمّهات النبيّين يَرين، وإن أُمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رأت حين وضعته نورًا أضاءت له قصور الشام».

وهو حديث صحيح صححه ابن حبان والحاكم، وأخرجه أحمد أيضًا عن أبي أُمامة رضي الله عنه.

وأخرج الحاكم والطبراني عن سيّدنا حزام بن أوس رضي الله عنه أن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، امتدح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقطعة شعرية من جملة أبياتها هذان البيتان:

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق[1]

فنحن في ذلك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد نخترق[2]

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في لطائف المعارف كما في المواهب:

«وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزال به ظلام الشرك، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: الآيتان 15، 16].

وروى الحافظ أبو يوسف القسوي بإسناد حسن، كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري رحمه الله عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، قالت:

«كان يهودي قد سكن مكّة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم، قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبيّ هذه الأمّة الأخيرة، بين كتفيه علامة، فانصرفوا فسألوا فقيل لهم: قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمّه، فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودي العلامة خرّ مغشيًا عليه، وقال: ذهبت النبوّة من بني إسرائيل، أمّا والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب».

(1) بضم الفاء وسكونها: الناحية، جمعه آفاق مذكر أنثه العباس على تأويله بالناحية، فاعتبر معناه دون لفظه.

(2) يقال: اخترق القوم إذا مضى وسطهم.

ومعنى البيتين: وأنت يا رسول الله لما ولدتك سيدتنا آمنة رضي الله عنها وتشرف عالم الظهور بوجودك فيه، أشرقت جميع جهاته بإشراق شمسك واستضاءت جميع النواحي العلوية والسفلية بأنوارك، فنحن يا رسول الله بوجودك وفضلك نمضي وسط ذلك النور، ونستمد من ذلك الضياء، ونستفيد من طرق الرشاد التي دللتنا عليها نحن وما تناسل منّا إلى يوم القيامة، بل والبشرية جميعها ما نسعد به في الدين والدنيا وما سنسعد به في الآخرة سعادة خالدة لا تفنى ولا تزول إن شاء الله.

ورواه الحاكم عن عائشة أيضًا باختلاف يسير.

وروى البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في الهواتف وابن عساكر وابن جرير في تاريخه، من حديث مخزوم بن هانىء عن أبيه، قال:

«لما كانت اللّيلة التي وُلد فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ارتجّ إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تُخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة».

وروى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

«من كرامتي على ربي أني ولدت مختونًا ولم يرَ أحدٌ سوءتي».

وهو حديث صحيح صحّحه الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في الأحاديث المختارة، وحسّنه الحافظ علاء الدين بن قليج بقاف وجيم الشهير بمغلطاي، كما في شرح الزرقاني على المواهب.

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّتِ اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الحادية عشرة

في رضاعه صلّى الله عليه وآله وسلّم

لقد تعدّدت مرضعاته صلّى الله عليه وآله وسلّم:

1 ـ فكانت والدته المعظّمة أُولاهنّ.

2 ـ وثويبة عتيقة أبي لهب ثانيتهن[1].

---

(1) أعتقها أبو لهب حين بشرته بولادة النبيّ ﷺ، ولم يظهر هذا العتق إلا بعد الهجرة. روى ابن سعد عن عروة بن الزبير: أن أبا لهب كان قد أعتق ثويبة فأرضعت رسول الله ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم بشرّ خيبة، فقال: «ما لقيت؟ قال أبو لهب: لم نذق بعدكم رخاء إني سقيت في هذه بعتاقة ثويبة، وأشار إلى النقيرة التي بين الإبهام والتي تليها من=

غير أن رضاعه من أمه لم يتجاوز تسعة أيام، كما في شرح المواهب للزرقاني، ومن ثويبة أيامًا كما في طبقات ابن سعد.

أما المرأة التي اختارتها العناية الإلٰهية لرضاعه طوال أمد الرضاع من بين نساء العرب، فهي السيدة الفاضلة والمرأة الكاملة مولاتنا حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث السعديّة.

ويسرّني أن نستمع جميعًا إلى حديثها في الموضوع، وقد أخرجه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي رحمه الله.

قالت حليمة رضي الله عنها:

(خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكّة على أتان[1] لي قمراء قد أدمت بالركب، قالت: وخرجنا في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا، ومعي زوجي الحارث بن عبد العزى، قالت: ومعنا شارف[2] لنا والله إن يبض[3] علينا بقطرة من لبن ومعي صبي لي إن نام ليلتنا مع بكائه ما في يديه ما يمصّه وما في شارفنا من لبن نغذوه إلا أنا نرجو، فلما قدمنا مكّة لم يبق منّا امرأة إلا عرض عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتأباه، وإنما كنّا نرجو كرامة رضاعه من والد المولود وكان يتيمًا، فكنّا نقول: ما عسى أن تصنع أمّه حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًا غيري، وكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئًا، وقد أخذ صواحبي، فقلت لزوجي: والله لأرجعنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه، قالت: فأتيته فأخذته فرجعته إلى رحلي[4]

فقال زوجي: قد أخذتيه، فقلت: نعم والله ذاك أني لم أجد غيره، فقال: قد أصبت، فعسى الله أن يجعل فيه خيرًا؛ فقالت: والله ما هو إلا أن جعلته في حجري،

= الأصابع»، وذكر السهيلي أن الرائي له هو أخوه العباس.

(1) الأنثى من الحمير خاصة.

(2) الناقة المسنة: والجمع شرف بضمّ الراء وتسكن.

(3) إن بمعنى ما، ومعنى يبض يدرّ.

(4) وذكر ابن سعد في الطبقات أن والدته صلّى الله عليه وآله وسلّم، قالت بعد أن خرجت به حليمة:

أعيذه بالله ذي الجلال ... من شرّ ما مرّ على الجبال

حتى أراه حامل الحلال ... ويفعل العرف إلى الموالي

وغيرهم من حشوة الرجال

قالت: فأقبل عليه ثديي بما شاء من اللبن، قالت: فشرب حتى روي وشرب أخوه (مسروح) حتى روي وقام زوجي إلى شارفنا من الليل، فإذا هي حامل فحلبت لنا ما شئنا، فشرب حتى روي، قالت: وشبت حتى رويت فبتنا ليلتنا بخير شباعًا، رواءً، وقد نام صبينا، قالت: يقول أبوه (تعني زوجها): والله يا حليمة ما أراك إلاّ أصبت نسمة مباركة قد نام صبيّنا وروي، قالت: ثم خرجنا فوالله لخرجت أتاني أمام الركب قد قطعته حتى ما يبلغونها حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث، كفي علينا، أليست هذه بأتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله وهي قدامنا، حتى قدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجدب أرض الله، فوالذي نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، ويسرح راعي غنمي وتروح غنمي بطانًا[1] لبنًا[2] حفلاً[3] وتروح أغنامهم جياعًا هالكة ما بها من لبن، وما في الحاضر أحد يحلب قطرة، ولا يجدها، فيقولون لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة، فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه راعينا، قالت: وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم يشبّ في اليوم شباب الصبي في شهر، ويشبّ في الشهر شباب الصبي في السنة فبلغ ستًا وهو غلام جفر، قالت: فقدمنا أمّه فقلنا لها وقال لها أبوه: ردّي علينا ابني فلنرجع به.

فإنا نخشى عليه وباء مكة، ونحن أضنّ بشأنه لما رأينا بركته، قالت: فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به، فرجعنا به).

ويرحم الله من قال وأحسن في المقال:

لقد بلغت بالهاشمي حليمة مقامًا علا في ذروة العزّ والمجد
فزادت مواشيها وأخصب ربعها لقد عمّ هذا الخير كل بني سعد

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

---

(1) كبيرة البطون من شدّة الشبع. (2) بضم اللام وكسرها كثيرة اللبن.
(3) التحفيل هو أن لا تحلب الشاة أيامًا ليجتمع اللبن في ضرعها للبيع كذا في مختار الصحاح للرازي، والمراد أن ضرعها كثير اللبن.

الروضة الثانية عشرة
في شرح صدره الشريف

١ ـ ولأول مرة في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم وقع شقّ صدره الشريف في بني سعد بن بكر

أخرج الإمام أحمد بإسناد حسن كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد والدارمي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي، عن عتبة بن عبد أنه حدّثهم أن رجلاً سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟.

فقال: «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابنٌ لها في بُهم[1] لنا لم نأخذ معنا زادًا، فقلت: يا أخي اذهب فأتني بزاد من عند أُمّنا؛ فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ فقال: نعم، فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني إلى القفا فشقّا بطني ثم استخرجا قلبي فشقّاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج، فغسلا به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة فذارُها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: حصه، فحصه، وختم عليه بخاتم النبوّة»، وفي رواية: «واختم عليه بخاتم النبوّة، قال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفًا من أمّته في كفّة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخرّ عليّ بعضهم، فقال: لو أن أُمّته وزنت به لمال بهم، فانطلقا وتركاني قد فرقت فرقًا شديدًا. ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت فأشفقت عليّ أن يكون البأس بي. فقالت: أعيذك بالله، فرحلت بعيرًا لها، فجعلتني أو حملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت: أدّيت أمانتي وذمّتي فحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك، قالت: إني رأيت خرج مني نور أضاءت له قصور الشام».

٢ ـ وقد وقع شقّ صدره الشريف مرة ثانية حين كان ابن عشر حجج، كما في زوائد المسند لعبد الله ابن الإمام أحمد بسند رجاله ثقات، وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء في المختارة.

---

(١) جمع بهمة أولاد البقر والمعز والضأن.

3 ـ ومرة ثالثة كما أخرجه أبو نعيم، والبيهقي في دلائلهما والطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

4 ـ ومرة رابعة كما في صحيحي البخاري ومسلم وسنني الترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه.

قال ابن أبي جمرة كما في فتح الباري.

(والحكمة في شق قلبه مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيمانًا وحكمة بغير شق، الزيادة في قوة اليقين لأنه أُعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمِنَ معه من جميع المخاوف العادية، لذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حلالاً ومقالاً، ووصف بقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: الآية 17].

ويرحم الله البوصيري حيث قال:

شق عن صدره وأخرج منه مضغةً عند غسله سوداء
ختمته يمنى الأمين وقد أودع ما لم تذع له أنباء
صان أسراره الختام فلا ألفـ ـض ملم به ولا الإفضاء

وفي مواهب القسطلاني: (المراد بالوزن في قوله: زنة بعشرة الوزن الاعتباري، فيكون المراد به الرجحان في الفضل، وهو كذلك، وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه السلام ذلك حتى يخبر به غيره، ويعتقد؛ إذ هو من الأمور الاعتقادية).

***

(طيِّب اللَّهمَّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللَّهمَّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللَّهمَّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللَّهمَّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الثالثة عشرة

في وفاة أمّه وجده وكفالة عمّه له

أخرج ابن سعد في الطبقات أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان مع أُمّه آمنة بنت وهب، فلما بلغ ستّ سنين خرجت به إلى أخواله (بني عدي بن النجار) بالمدينة، تزورهم به ومعه (أم أيمن) تحضنه وهم على بعيرين، فنزلت به في دار

(التابعة)، فأقامت به عندهم شهرًا، ثم رجعت به أمّه إلى مكّة، فلما كانوا (بالأبواء) توفيت آمنة بنت وهب، فقبرها هناك، فرجعت به أمّ أيمن على البعيرين الذين قدموا عليهما مكّة، وكانت تحضنه مع أُمّه فقبضه إليه جدّه عبد المطلب، وضمّه ورقّ عليه رقّة لم يرقّها على ولده وكان يقرّبه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤنس ملكًا، وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإنّا لم نر قدمًا أشبه بالقدم التي في المقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به، وقال عبد المطّلب لأمّ أيمن، وكانت تحضن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإنه وجدته مع غلماني قريبًا من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبيّ هذه الأُمّة، وكان عبد المطلب لا يأكل طعامًا إلا قال: عليّ بابني، فيؤتى به إليه فلما حضرت عبد المطلب الوفاة، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحياطته، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم مات عبد المطلب ابن ثماني سنين، وعبد المطلب ابن عشرين ومائة سنة، ولما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه حبًا شديدًا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وصبّ به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط، وكان يخصّه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعًا أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذيهم قال: كما أنتم، حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك، وكان الصبيان يصبحون رمصًا[1] شعثًا[2]، ويصبح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دهينًا كحيلا).

❁ ❁ ❁

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهر اللّهمّ دينه على

(1) جمع رمصاء، يقال: رمص الرجل إذا كان في عينيه رمص، والرمص: وسخ أبيض يكون في مجرى الدمع من العينين.
(2) جمع أشعث، وهم الذين اغبرّ شعرهم وتلبّد.

البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الرابعة عشرة

في خروجه إلى الشام للمرة الأُولى

وحضوره حرب الفجار وحلف الفضول

أخرج ابن سعد أيضًا عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، والوصي عليه من قبل جدّه، لما خرج إلى الشام خرج معه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فنزل منزله، فأتاه فيه راهب، فقال: إن فيكم رجلاً صالحًا، فقال: إن فينا من يقري الضيف، ويفكّ الأسير، ويفعل المعروف، أو نحوًا من هذا، ثم قال: إن فيكم رجلاً صالحًا، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: فقال ها أنذا وليّه، أو قيل: هذا وليّه، قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حسد، وإني أخشاهم عليه، قال: ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقوله، فردّه، قال: اللّهمّ إني أستودعك محمدًا ثم إنه مات).

ولما بلغ صلّى الله عليه وآله وسلّم عشرين سنة حضر حرب الفجار مع قريش وكنانة ضد قيس، وذلك في شهر شوّال بعد الفيل بعشرين سنة على إثر قتل البراض بن قيس أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، لعروة بن عتبة بن جابر بن كلاب، ورمى صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها بأسهم.

وقال عنه بعد ذلك كما في طبقات ابن سعد: وما أحب أني لم أكن فعلت، وكانت الغلبة فيها لقريش وكنانة.

كما حضر حلف الفضول، الذي كان في شهر ذي القعدة على إثر فراغ قريش من الفجّار، وقال عنه بعد ذلك كما في طبقات ابن سعد عن جبير بن مطعم:

(ما أحب أنّ لي بحلف حضرته بدار ابن جدعان حمر النّعم، وأني أغدر به، هاشم وزهرة وتميم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بل بحر صوفه، ولو دُعيت لأجبت، وهو حلف الفضول).

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على

البرايا، ويباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزنَة ما علمت).

الروضة الخامسة عشرة

في خروجه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الشام للمرة الثانية وزواجه بخديجة

ولما بلغ صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسًا وعشرين سنة، قال له عمّه أبو طالب، كما في الطبقات.

أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ الزمان علينا، وهذه عير قومك وقد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرانها، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمّه له، فأرسلت إليه في ذلك، وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، وخرج مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدما بصرى من الشام، فنزلاً في ظل شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاّ نبيّ، ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم، لا تفارقه، قال: هو نبيّ، وهو آخر الأنبياء، ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح، فقال له: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما حلفت بها قط، وإني لأمر فأعرض عنهما»، فقال الرجل القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبيّ تجده أحبارنا منعوتًا في كتبهم، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ يرى ملكين يظلاّن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الشمس، فوعى ذلك كلّه ميسرة، وكان الله قد ألقى عليه المحبة من ميسرة، فكان كأنه عبد له، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، فلمّا رجعوا فكانوا بمرّ الظهران، قال ميسرة: يا محمد، انطلق إلى خديجة فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك، فإنها تعرف لك ذلك، فتقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، حتى دخل مكّة في ساعة الظهيرة، وخديجة في عليّة لها فرأت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو على بعيره، وملكان يظلان عليه فأرته نساءها، فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فخبرها بما ربحوا في وجههم، فسرّت بذلك فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت، فقال ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال الراهب

(نسطور)، وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع، وقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت له ضعف ما سَمّت له).

وأخرج ابن سعد عن نفيسة بنت منية، قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسبًا وأعظمهم شرفًا، وأكثرهم مالاً، وكلّ قومها كان حريصًا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيسًا إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تزوّج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوّج به، قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: قلت: عليّ، قال: فأنا أفعل، فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن ائت ساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمّها عمرو بن أسد ليزوّجها، فحضر ودخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عمومته. . . الخ.

وذكر القسطلاني في المواهب أن أبا طالب حضر هو ورؤساء مضر وألقى خطبة النكاح الآتية:

(الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم وزرع إسماعيل، وضئضيء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكّام على الناس.

ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا ورجح به، فإن كان في المال قلّ فإن المال ظلٌّ زائل، وأمرٌ حائل، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم).

وفي المنتقى كما في الزرقاني.

فلما أتمّ أبو طالب الخطبة تكلّم ورقة بن نوفل، فقال:

(الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضّلنا على ما عددت فنحن سادة العرب، وقادتها، وأنتم أهل ذلك كلّه، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردّ أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتّصال بحبلكم، وشرفكم، فاشهدوا عليّ يا معشر قريش، بأني قد زوّجت خديجة بنت خويلد، من محمد بن عبد الله، على أربعمائة

دينار، ثم سكت، فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشكرك عمّها، فقال عمّها: اشهدوا عليّ يا معشر قريش إني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، وشهد على ذلك صناديد قريش).

* * *

(طيِّب اللَّهمَّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللَّهمَّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللَّهمَّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللَّهمَّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة السادسة عشرة

في موقفه الحكيم إثر إعادة بناء الكعبة

ولما تصدّع البيت الحرام، على إثر السيل الذي كان ينحدر من أعلى مكّة، وخاف القرشيون أن يتصدّع، هدموا الكعبة المعظّمة وأعادوا بناءها، فلما انتهوا إلى حيث يوضع الركن من البيت، قالت كل قبيلة: نحن أحقّ بوضعه، واختلفوا حتى خافوا القتال، ثم جعلوا بينهم أوّل من يدخل من باب بني شيبة، فيكون هو الذي يضعه، فقالوا: رضينا وسلّمنا، فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل من دخل من باب بني شيبة، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، ثم أخبروه الخبر، فوضع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رداءه وبسطه في الأرض، ثم وضع الركن فيه ثم قال: ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل، ففعلوا؛ ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب، ثم ارفعوه جميعًا، فرفعوه؛ ثم وضعه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بيده في موضعه ذلك، فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبيّ ﷺ حجرًا يشد به الركن، فقال العباس بن عبد المطلب: لا، ونحاه، وناول العباس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حجرًا فشدّ به الركن فغضب النجدي حيث نحي، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنه ليس يبني معنا في البيت إلا منّا»، قال: فقال النجدي: يا عجبًا لقوم أهل شرف وعقول وسنّ وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنًا، وأقلّهم مالاً، فرأسوه عليهم، في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له، أمّا والله ليفوتنهم سبقًا، وليقسمن بينهم حظوظًا وجدّوا،

ثم بنوا حتى انتهوا إلى موضع الخشب، فكان خمسة عشر جائزًا سقفوا البيت عليه وبنوه على ستّة أعمدة وأخرجوا الحجر من البيت. اهـ من الطبقات مختصرًا.

* * *

(طيّب اللّٰهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّٰهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّٰهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّٰهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة السابعة عشرة

في جملة من الإرهاصات التي وقعت قبل نبوّته صلّى الله عليه وآله وسلّم

الإرهاصات التي كانت تمهيدًا لنبوّته صلّى الله عليه وآله وسلّم كثيرة:

1 ـ منها قول رضوان خازن الجنان في أذنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، ساعة ولادته: أبشر يا محمد، فما بقي لنبيّ علم إلاّ وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علمًا وأشجعهم قلبًا. ذكره القسطلاني في المواهب.

2 ـ ومنها حجب الجنّ عن السمٰوات كلّها.

فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجنّ كانوا لا يحجبون عن السمٰوات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سمٰوات، فلما ولد محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم منعوا من السمٰوات كلّها، ذكره القسطلاني أيضًا.

3 ـ ومنها: تكلّمه في أوائل ما ولد.

كما في فتح الباري نقلاً عن سيرة الواقدي، وقوله: جلال ربي الرفيع.

4 ـ ومنها: تكلّمه صلّى الله عليه وآله وسلّم أول ما فطم.

فقد أخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس، قال: كانت حليمة تحدث:

أنا أوّل ما فطمت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تكلّم، فقال: (الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلاً).

5 ـ ومنها: نزول المطر ببركته صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أخرج ابن عساكر عن جلهمة[1] بن عرفطة[2] قال: (قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلمّ فاستسقِ، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن[3] تجلّت عنه سحابة قتماء[4] وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق[5] وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي).

6 ـ ومنها: نبع الماء من الأرض على إثر إهوائه بعقبه الشريف إليها.

أخرج ابن سعد أن أبا طالب، قال: (كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي، يعني النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأدركني العطش فشكوت إليه، فقلت: يا ابن أخي، قد عطشت وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئًا إلا الجزع، قال: فثنى وركه ثم نزل، فقال: يا عمّ أعطشت؟ قال: قلت: نعم، قال: فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عمّ، قال: فشربت).

7 ـ ومنها: تسليم الشجر والحجر عليه بمكة.

أخرج ابن سعد أيضًا عن برة ابنة أبي تجراة، قالت: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوّة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتًا ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمرّ بحجر ولا شجرة، إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدًا.

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

---

(1) بضم الجيم وتفتح، كما في القاموس.
(2) بضم العين والفاء كما في شرح الزرقاني على المواهب.
(3) بضم الدال المهملة والجيم وشدّ النون: الظلمة والغيم المطبق.
(4) سحابة يعلوها سواد غير شديد.
(5) يقال: أغدق المطر واغدودق كثر قطره.

الروضة الثامنة عشرة

في كيفية بدء الوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

ولما بلغ صلّى الله عليه وآله وسلّم أربعين سنة نزل عليه الوحي، أخرج البخاري عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت:

(أوّل ما بدأ به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: الآيات 1 - 3].

فرجع بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلاّ، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتَصِل الرحم، وتحمل الكلّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عمّ خديجة، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أوَ مخرجي هم»؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عُودِيَ وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي).

وزاد البخاري قائلاً:

قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن أن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه:

(بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زمّلوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثّر: الآيات 1 ـ 5]، فحمي الوحي وتتابع).

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة التاسعة عشرة

في وصف المجتمع البشري قبل البعثة وفضل الرسالة المحمدية عليه

نعم! وبعد أن مرّت على الإنسانية عدّة قرون لم ترَ فيها رسولاً يعرفها بخالقها وممدّها، ويهديها سواء السبيل، فكثر فيها الضلال وعمّ الظلام، واشتدّ العمى، وانتشر الجهل في جميع الدول والشعوب حتى عُبدت الشمس والقمر، والنمار والبقر، واتّخذت كل قبيلة لنفسها صنمًا تعبده، وتقدّسه وتنحر له الذبائح كل سنة، وعمّت الفرقة بين الشعوب والأقطار والبلدان والقبائل والعائلات.

وفشا نظام الطبقات فشوًا ما عليه من مزيد، وأصبحت الكلمة الأخيرة للسيف، فظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس.

أرسل الله نبيّه سيدنا محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فقام بمهمّته الربانية أحسن قيام، وهدى الناس إلى الصراط المستقيم، وأتاهم بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ووضع لهم من القوانين ما يصبحون به أعزاء بعد أن كانوا أذلاّء،

وسادة بعد أن كانوا عبيدًا، وموحّدين بعد أن كانوا مفرّقين، ومثلاً عليا للخير، بعد أن كانوا مثلاً دنيا للشرّ.

وهكذا شهدت الإنسانية ميلاد الأُمّة الإسلامية في وقت هي أحوج ما تكون إليها بقيادة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام لتضمن لكل من استضاء بنورها كل خير ديني ودنيوي وأُخروي وتسلكه في عقد خير أُمة أخرجت للناس وتجعله هاديًا مرشدًا موفور الكرامة، عزيز الجانب، مشاركًا في بناء صروح المجد والفخار لجيله وللأجيال الآتية بعده إلى يوم الدين، ولم يثنه صلّى الله عليه وآله وسلّم ما لقيه من أذى أثناء تأديته لرسالة ربّه، بل واصل عمله بشجاعة نادرة وصبر لا تنال منه الجبال، كما أن أصحابه الكرام صدقوا ما عاهدوا عليه، فمنهم من قضى نحبه شهيدًا في سبيل الله، ومنهم من أحياه الله إلى أن حضر مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في جميع المشاهد، وأبلى في كلٍ منها البلاء الحسن، وقرّت عين الكل حينما نزل قوله تعالى ـ بعد غزوات وسرايا ومجهودات متواصلة ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية 3].

***

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة العشرون

في وصف خلقه(١) صلّى الله عليه وآله وسلّم

روى الشيخان عن البراء، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلُقًا.

وروى الحافظ الترمذي وغيره عن أبي هريرة، قال: ما رأيت أحسن من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، كأن الشمس تجري في وجهه.

---

(١) بفتح فسكون، والمراد صورته الظاهرة.

وروى الحافظ البخاري عن أبي إسحٰق، قال: سُئِل البراء أكان وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل السيف؟ فقال: لا بل مثل القمر.

روى الحافظ مسلم عن جابر بن سمرة، وقال له رجل: أكان وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا.

وروى الترمذي في الشمائل عنه أيضًا، قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ليلة إضحيان - أي مقمرة - وعليه حلّة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فهو عندي أحسن من القمر.

وروى الترمذي فيها والبيهقي عن عليّ أنه نعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير.

قال الشهاب القسطلاني في المواهب والمطهم الكثير السمن، والمكلثم المدور الوجه، أي لم يكن شديد تدوير الوجه، بل في وجهه تدوير قليل.

وروى الحافظ الذهلي في باب صفته صلّى الله عليه وآله وسلّم من كتاب الزهريات من حديث أبي هريرة: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أسيل الخدّين.

قال الشهاب: والخد الأسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة.

وروى البخاري عن كعب بن مالك، قال كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنّا نعرف ذلك منه.

وروى الحافظ الطبراني عن جبير بن مطعم، قال: التفت إلينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بوجه مثل شقّة القمر، وهو محمول على صفته عند الالتفات كما في الشهاب.

وروى الحافظ أبو محمد الدارمي، وأبو نعيم الأصفهاني، وأبو القاسم الطبراني، عن أبي عبيدة، قال: قلت للربيع بنت معوذ رضي الله عنها: صفي لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة.

وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: كان أبيض مليح الوجه.

وفي نهاية الحافظ ابن الأثير أنه عليه الصّلاة والسّلام: كان إذا سرّ كأن وجهه المرآة، وكأن الجدر تلاحك[1] وجهه.

وروى الترمذي فيها من حديث ابن أبي هالة: يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر.

وروى الحافظ البيهقي في الدلائل عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُرى بالليل في الظلماء كما يُرى في الضوء.

وروى الشيخان عن أبي هريرة: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «ترون قبلتي هاهنا، فوالله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري».

وروى مسلم عن أنس: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع والسجود، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي».

وروى القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي في الشفا أنه عليه الصلاة والسلام كان يرى أحد عشر نجمًا، وعند العلامة السهيلي: اثني عشر.

وروى الترمذي فيها من حديث ابن أبي هالة الطويل: وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدر من لقي بالسلام.

وروى البيهقي عن عليّ: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عظيم العينين، أهذب الأشفار، مشرب العين بحُمرة.

وروى مسلم والترمذي عن جابر بن سمرة، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقب، أي قليل لحم العقب.

وروى الحافظ أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححوه عن أبي ذرّ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحقّ لها أن تئطّ، ليس فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى».

---

(1) الملاحكة: شدة الملاءمة وهي الموافقة، أي يرى شخص الجدر جمع جدار في وجهه ﷺ لشدة ضيائه، كذا في المواهب وشرحها.

وروى الحافظ أبو القاسم بن حزم في الدلائل في شرح مما أغفل من غريب الحديث وابن عساكر، قال أبو بكر: يا رسول الله، لقد طُفت في العرب وسمعت فصائحهم، فما سمعت أفصح منك، قال: «أدّبني ربي ونشأت في بني سعد».

وروى الحافظ أبو يعلى والبيهقي عن ابن عمر والدارقطني عن ابن عباس مرفوعًا: «أُعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارًا».

* * *

(طيِّب اللّٰهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللّٰهمّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللّٰهمّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللّٰهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الواحدة والعشرون

في خُلُقه[1] صلّى الله عليه وآله وسلّم

لقد جمع الله لرسوله سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم جميع خصال الخير، وكامل أصناف الفضل، فكان وافر العقل، ذكيّ اللبّ، قويّ الحواس، فصيح اللسان، معتدل الحركات، حسن الشمائل، بل كان المثل الأعلى في الحلم والاحتمال، والعفو مع المقدرة، والصبر على ما يكره، والشجاعة والنجدة، والحياء والإغضاء، وحسن العشرة والأدب، وبسط خلقه مع أصناف الخلق، والشفقة والرحمة بجميع الخلق، والوفاء وحسن العهد، وصلة الرحم والتواضع على علوّ منصبه ورفعة رتبته، والعدل والأمانة والعفّة، وصدق اللّهجة والوقار، والصمت والتؤدة والمروءة، وحسن الهدي والزهد في الدنيا، والخوف من ربّه وطاعته له وشدّة عبادته.

وما ظنكم برسول رفع العلي الأعلى قدره على جميع الأقدار، وحلاه بمختلف أنواع الكمالات وأحاطه بجميع الأنوار، وأنزل في كتابه المبين آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكره، وعدّ محاسنه وتعظيم أمره، والتنويه بقدره، وأعلم خلقه بصلاته عليه وولايته له، ورفع عن أُمّته العذاب بسببه، وفضّله بالمحبة والخلّة، وأسرى به من

---

(1) بضمّتين والمراد هنا الصورة الباطنة.

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى سدرة المنتهى، وأراه آياته الكبرى، وسمّاه بجملة من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأظهر على يديه معجزات زاهرة، وخصّه بخصائص باهرة، وسيفضله يوم القيامة بالشفاعة العظمى التي هي من أهمّ أنواع الكرامات التي أكرمه بها، وسينعم عليه في الجنّة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة[1].

ورحم الله الشيخ يوسف النبهاني حيث قال في بعض روائعه:

سيّد الرُّسل قدره معلوم — أين منه المسيح أين الكليم
أين نوح وأين إبراهيم — كلّهم عن مقامه مفطوم
فعليه الصلاة والتسليم

أين كل العوالم العلويّة — أين كل العوامل السفلية
أين كل الورى بكل مزيّة — إنما فوقه العليّ العظيم
فعليه الصلاة والتسليم

***

(طيِّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيِّدنا محمد، وثبِّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيِّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيِّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الثانية والعشرون
في جملة من مآثر سيّدنا محمد
صلّى الله عليه وآله وسلّم

سيّدنا محمد: هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث رحمة للعالمين والهادي إلى الصراط المستقيم، الذي جمع الله في دينه ما افترق في غيره من الأديان، وفي كتابه ما تفرق في غيره من الكتب، وجعل شريعته صالحة لكل زمان ومكان، وداعية إلى كل خير ديني ودنيوي وأُخروي، ورافعة من مكانة العقل وآمرة باستعماله في

(1) راجع تفاصيل ودلائل ما ذكرنا في شفا القاضي عياض، رحمه الله.

خدمة الكون، وإدراك كُنه الأشياء، وبرهنت عن التعاضد المتين الواقع بينه وبين الدين.

سيدنا محمد: هو المشرع الأعظم، الذي ما ترك أصلاً من أصول الحكم العادل إلاّ ووضعه، ولا لونًا من ألوان الحياة الحرّة الكريمة إلا وفتحه، ولا سنّة من سنن الخير إلاّ وفعلها وحظّ عليها، ولا تشريعًا جائرًا إلاّ وأبطله، ولا سدًا يحول بين الناس وبين الخير إلاّ وحطّمه.

سيّدنا محمد: هو الإنسان الكامل، الذي بعثه الله ليتمّم مكارم الأخلاق، ويعطي المثل الأعلى العملي لأهل الأذواق، ويؤسّس صروح الفضيلة، ويقوّض أبنية الرذيلة، ويدخل الناس إلى جنّة عرضها السمٰوات والأرض، ويبعدهم عن سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر.

سيدنا محمد: هو المربّي الأكبر الذي ربّى الأمّة الإسلامية المجندة وراءه تربية أدهشت العالم، وتركته مشدوهًا أمام العلم الذي نشره، والمعرفة التي بثّها، والمحامد التي دعا إليها والأفكار التي أذاعها.

سيدنا محمد: هو الداعية الأول، الذي استطاعت أمّته أن تنشر دين الله، وتُعلي كلمة الله، وتقضي على الممالك الطاغية، والعروش العاتية، وتوحّد مئات الملايين من المسلمين تحت كلمة التوحيد: لا إلٰه إلاّ الله، محمد رسول الله، وتوجّهها نحو قبلة واحدة «جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس»، وتربطهم بزباط مقدّس، يسمو على الروابط العائلية والبلدية والقروية والوطنية والقومية والشعوبية، وهو رابط الدين الذي لا تنفصم عُراه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: الآية 19]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: الآية 85].

سيدنا محمد: هو صاحب الوسيلة والفضيلة، الذي ما فارق هذا العالم ـ في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر بيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ـ إلا بعد أن أدّى مهمّته الإلـهيّة أحسن أداء، وشاهد ثمرات أعماله العظيمة تؤتي أكلها كلّ حين، وترك للإنسانية الكتاب والسنّة، الذين لا يضلّ من تمسّك بهما وقرّت عينه بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية 3].

❁ ❁ ❁

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام علىٰ سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهِر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزِنَة ما علمت).

الروضة الثالثة والعشرون

في خصائص أُمّته المحمدية صلّى الله عليه وآله وسلّم

أخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى عليه السلام لمّا نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمّة، قال:

يا ربّ إني أجد في الألواح أمّة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمّتي، قال: تلك أمّة محمد.

قال: يا رب إني أجد في الألواح أمّة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهرًا، فاجعلها أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد.

قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمّة يأكلون الفيء، فاجعلها أُمّتي، قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أُمّة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها، فاجعلها أمّتي. قال: تلك أمّة أحمد.

قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمّة إذا هَمّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإن عملها كتبتُ له عشر حسنات، فاجعلها أُمّتي. قال: تلك أُمّة أحمد.

قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أُمّة إذا هَمّ أحدهم بسيّئة فلم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت عليه سيّئة واحدة، فاجعلها أُمّتي. قال: تلك أُمّة أحمد.

قال: يا ربّ إني أجد في الألواح أمّة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر، فيقتلون المسيح الدجّال، فاجعلها أُمّتي. قال: تلك أُمّة أحمد.

قال: يا ربّ فاجعلني من أُمّة أحمد، فأعطي عند ذلك خصلتين، فقال: يا موسى ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية 144]، قال: قد رضيت يا ربّ.

روى الإمام المحدث سيف الدين أبو جعفر عمر بن أيوب بن عمر الحميري التركماني الدمشقي الحنفي الشهير بابن طغربك[1] في كتاب النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه، قال:

قال موسى: يا ربّ فهل في الأمم أكرم عليك من أُمتي ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المنّ والسلوى. فقال سبحانه وتعالى: يا موسى أما علمت أن فضل أُمّة محمد على سائر الأمم كفضلي على جميع خلقي.

قال: يا ربّ فأرنيهم، قال: لن تراهم، ولكن أسمعك كلامهم، فناداهم الله تعالى فأجابوا كلهم بصوت واحد: لبّيك اللّهمّ لبّيك، وهم في أصلاب آبائهم وبطون أُمّهاتهم، فقال سبحانه وتعالى: صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق عذابي، استجبت لكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله، غفرت له ذنوبه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فأراد الله أن يمتنّ علي بذلك»، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القَصَص: الآية 46]، أي أُمّتك حتى أسمعنا موسى كلامهم.

وأخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني عن الإمام وهب بن منبه، قال:

أوحى الله إلى سعيا[2] عليه الصلاة والسلام: إني باعث نبيًا أُمّيًا أفتح به آذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا، مولده بمكّة ومهاجره طيبة، وملكه بالشام، عبدي المتوكّل المصطفى المرفوع الحبيب المنتخب المختار، لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيمًا بالمؤمنين، يبكي للبهيمة المثقلة واليتيم في حجر الأرملة، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزيّن بالفحش ولا قوّال للخنا، ولو يمرّ إلى جنب السراج لم يطفه من سكينة، ولو يمشي على القصب الرعراع (أي الطويل) لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه مبشّرًا ونذيرًا، إلى أن قال: وأجعل أُمّته خير أمّة أُخرجت للناس أمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وتوحيدًا لي، وإيمانًا بي وإخلاصًا، وتصديقًا لما جاءت به رسلي، وهم رعاة الشمس والقمر، طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت لي، ألهمهم التسبيح والتكبير، والتحميد والتوحيد، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم، ومتقلّبهم ومثواهم

(1) بضم الطاء المهملة والراء بينهما معجمة ساكنة ثم موحدة مفتوحة، كذا في شرح الزرقاني على المواهب.

(2) بسين مهملة وإعجامها لغة: نبيّ بشّر بعيسى، كما في القاموس.

ويصفون في مساجدهم كما تصفّ الملائكة حول عرشي، هم أوليائي وأنصاري، أنتقم بهم من أعدائي، عَبَدة الأوثان، ويصلّون لي قيامًا وقعودًا وركّعًا وسجودًا، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفًا، ويقاتلون في سبيلي صفوفًا، اختم بكتابهم الكتب، وبشريعتهم الشرائع، وبدينهم الأديان، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم، ويدخل في دينهم وشريعتهم، فليس منّي، وهو مني بريء، وأجعلهم أفضل الأمم، وأجعلهم أمّة وسطًا، شهداء على الناس، إذا أغضبوا هلّلوني، وإذا تنازعوا سبّحوني، يطهّرون الوجوه والأطراف، ويشدّون الثياب إلى الأنصاف، ويهلّلون على التلال والأشراف، قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبانًا بالليل ليوثًا بالنهار، طوبى لمن كان معهم، وعلى دينهم، ومنهاجهم وشريعتهم، وذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

* * *

(طيّب اللّهمّ مجالسنا بالصلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وثبّت اللّهمّ قلوبنا على محبة سيّدنا محمد، واجمع اللّهمّ شمل أتباع سيّدنا محمد وأظهر اللّهمّ دينه على البرايا، وباعِد بيننا وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين، ملء ما علمت، وعدد ما علمت، وزنة ما علمت).

الخاتمة

في الالتجاء إلى الله سبحانه

اللّهمّ أقسم لنا من خشيتك، ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تدخلنا به جنّتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا[1]

يا حبيب التائبين، ويا سرور العارفين، ويا قرّة عين العابدين، ويا أنس المنفردين، ويا حرز اللاجئين، ويا ظهير المنقطعين، يا من حنت إليه قلوب الصدّيقين، وأنست به أفئدة المحبّين، وعلقت عليه همّة الخائفين[2]، إنا وإن تعدينا الحدود وتجرّأنا بالمعاصي والمخالفات، فإن ذلك لا يخرجنا عن كوننا عبيدًا، ولا يخرجك ذلك عن كونك حليمًا، لا تجازي بالسيئة السيّئة، فعاملنا بما منك إلينا، لا بما منّا إليك «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمّى»[3]

اللّهمّ املأ قلوبنا بمعارفك الجامعة، واشرح صدورنا بمواهبك الساطعة، وأنِلْنا كل الخيرات، وأذقنا حلاوة الطاعات، وهيّأنا لجميع المعالي، واخترنا للمنازل

---

(1) دعاء نبويّ أخرجه الترمذي وحسّنه والحاكم عن ابن عمر، قال: قلّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه.

(2) من مناجاة الشيخ حياة ابن قيس الحراني، المتوفّى سنة 581، قدّس سرّه، وهو أحد عظماء الإسلام الذين كانوا في رتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنيجي رضوان الله عليهم. انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي المتوفّى سنة 1089 ج 4 ص 269، نشر مكتبة القدسي.

(3) دعاء لشيخنا الوالد من حزبه المسمى بالبسط.

العوالي، واجعلنا من أهل المشاهدات، واحشرنا في زمرة أهل الخصوصيات، وهيّأ لنا أسباب الرضوان، وأذِقنا برد الغفران.

اللّهمّ إنك تعلم أن عبادك المسلمين، المدعين التفاني في محبة نبيك الصادق الأمين، انحرفوا عن صراطك المستقيم ونهجك السوي القويم الذي أمرتهم باتّباعه، ولزوم مهيعه، واتّبعوا سبيل الجهل، والعناد، والظلم والاستبداد، والفرقة والاختلاف، والانحراف والاعتساف، فاستعمروا أسوأ استعمار، واستغلّوا أشنع استغلال من طرف أعدائهم الكفرة الفجرة، متنكّرين لخالقهم أهل التقوى وأهل المغفرة، فظهر فيهم مصداق قول نبيّك ﷺ لسيدنا ثوبان رضي الله عنه: «كيف بكم يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قطعة الطعام تصيبون منه»؟ قال ثوبان: بلى! بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أمن قلّةٍ بنا؟ قال: «لا، أنتم يومئذ كثير ولكن يُلقى في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حبّكم الدنيا وكراهيتكم القتال»[1].

فتُبْ اللّهمّ عليهم توبةً نصوحًا، ووفّقهم للعمل الصالح، وارفع عنهم غضبك ومقتك، ونجّهم من ذلّ الاستعمار، وأمدهم بجنودك التي أيّدت بها رسلك وأنبياءك، وأصحاب نبيّك وأوليائك.

اللّهمّ إنك تعلم أن الحملات الصليبية الأوروبية التي قضت على الإسلام بالأندلس وعملت كل ما وَسعها للقضاء عليه بالمغرب عدّة مرات فلم تنجح، لا زالت مسترسلة في عملها إلى الآن، وأضافت إلى أسلحتها الحديدية النارية سلاحًا جديدًا هو سلاح ثقافتها الأجنبية، المجرّدة من المعاني الروحيّة، وسلاح الأخلاق الرديّة، المُبعدة عن جلالتك العليّة، وقد نجحت بهذا السلاح الثاني، نجاحًا لم يسبق له مثيل ولا مداني، فأصبحنا نخاف على مستقبل الإسلام في بلاد الإسلام وعلى لغة الإسلام في أوطان الإسلام، فعجّل اللّهمّ بفشلها، وخيّب مساعي أهلها، ووفّقنا للعضّ بالنواجذ على ديننا والتشبّث بأذيال لغتنا، وعجّل باستقلال بلادنا وجميع بلاد المسلمين يا ربّ العالمين، ووفّقنا لإعادة مجد الإسلام، وتوثيق روابط الإخاء بين أتباع سيد المرسلين في مشارق الأرض ومغاربها، والقضاء على جميع أسباب الخلاف بينهم يا مالك يوم الدين، وحبّب إلينا تحكيم الإسلام فيما شجر بيننا، ونشر تعاليمه

(1) رواه أحمد بإسناد جيّد والطبراني عن أبي هريرة.

في أعضاء أسرنا وجموع مواطينا وحِلْ بيننا وبين انخراط أولادنا في أيّة مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم وألهمهم مقاطعة كل الصحف والكتب والأندية التي تحارب شريعتهم.

اللّهمّ إنك تعلم أن المسلمين بأرض فلسطين المباركة أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله، ونبيّنا محمد رسول الله، ولقوا من التقتيل والتشريد، وخراب الديار، وذهاب الأموال على أيدي اليهود، ومناصري اليهود من الإنجليزيين وغيرهم ما لم يسبق له نظير في التاريخ، فطهّر اللّهمّ بلادهم وبلاد جميع المسلمين من كل استعمار واستغلال، وظلم وفساد وانحلال، وأرجعهم إلى وطنهم ومسقط رؤوسهم حاملين راية العزّ والظّفر، ومعلين منار سيّد البشر.

اللّهمّ حلّ مشاكل جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على ضوء الكتاب والسنّة، واَهدِ ملوكهم ورؤساءهم إلى الاستضاءة بنور سيّد الإنس والجنة.

اللّهمّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمّت بنا أعداءً ولا حاسدين.

اللّهمّ إنّا نسألك من كل خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك.

اللّهمّ إن عقولنا متعلقة بعلوّ جلالك العظموتي، وإن قلوبنا واقفة بباب فضلك الرحموتي، فأسعف رغباتنا، وأجب طلباتنا.

سبحان ربك رب العزّة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

قيّده لسائليه الفقير إليه سبحانه: محمد الباقر ابن الشيخ أبي الفيض سيدي محمد ابن الشيخ أبي المكارم سيدي عبد الكبير الحسني الإدريسي الكتاني كان الله له آمين.

ووافق الفراغ من تقييده بسلا يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة وألف الموافق لليوم الثامن والعشرين من شهر يوليو سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف، ثم أعدت فيه النظر وزدت ونقصت مدة من شهر فتمّ تحريرًا في يوم السبت الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وستّين وثلاثمائة وألف الموافق لثالث مارس سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف.

رسالة المؤلف
إلى وزير العدل

يسرّنا أن نثبت فيما يلي نص الرسالة التي وجهها المؤلف رحمه الله (مضمونة) إلى وزير العدل في أول حكومة مغربية أسست في عهد الاستقلال وتعد وثيقة هامّة من الوثائق التي يزخر بها تاريخه وتاريخ ثلّة من علماء المغرب الذين جاهدوا في سبيل الله أثناء عهد الحماية المشؤوم وواصلوا جهادهم حتى بعد الاستقلال منادين الحكومة المغربية بإقامة نظام إسلامي في المغرب، واعتبار الكتاب والسنّة الدستور الأول للمغرب المستقل وقصر وظائف القضاء على العلماء المتخصّصين في الفقه الإسلامي.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

صاحب السعادة الأستاذ المكافح السيد عبد الكريم بن جلون وزير العدل المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله بوجود الجناب العالي بالله دام عزّه وعلاه.

أمّا بعد، فقد قدّر لي أن أستمع من الإذاعة الوطنية إلى تصريحاتكم الهامّة التي أفضيتم بها في ندوتكم الصحفية الأخيرة حول نظام القضاء بالمغرب. وقد سرّنا منها تأكيدكم بأن المحاكم التي عملت وزارتكم على تأسيسها أو التي هي في طريق التأسيس سوف لا تخرج عن دائرة الشريعة الإسلامية لأن المغرب بلد إسلامي يجب أن يحكم بقوانين الإسلام، وهي تصريحات تستحقون عليها كل شكر وثناء.

غير أن اقتصاركم على تعيين رجال مثقفين ثقافة أجنبية في مختلف أنواع القضاء باستثناء ما اعتاد الناس أن يسمّوه بالشرعي تشريفًا له وتكريمًا يخالف التصريحات المذكورة؛ إذ الإسلام يشترط شروطًا في القاضي لا بدّ من توفرها أو توفر جلّها فيه وفي طليعتها الاختصاص في معرفة القانون الإسلامي، وقد حاولتم أن تجيبوا في

ندوتكم المذكورة على الاحتجاج الذي قدمته لكم في هذا الموضوع (جمعية علماء الإرشاد والإصلاح)[1]، فلم تأتوا بالمقنع ذلك أنكم ذكرتم أنه سيقع تعيين مستشارين خبيرين بالفقه الإسلامي بجانب الحكام المفوّضين ليرجعوا إليهم عند الحاجة، وقد صارت الأوساط العلمية والشعبية تتساءل لماذا لا يكون العكس، فتسند تلك الوظائف إلى رجالات القانون الإسلامي بدلاً من رجالات القانون الأجنبي، ويقع تعيين مستشارين لهم من الشباب المثقف ثقافة عصرية لأننا لا ننكر أن المغرب في عهده الجديد مضطر أن يأخذ عن الشعوب الغربية التنظيم والترتيب وتنسيق شؤون القضاء وغيره من شؤون الحياة العامة تنسيقًا بديعًا، وبذلك ترفع حكومتنا الوطنية رأس الإسلام والعروبة والمغرب عاليًا وتعطي للعالم أجمع برهانًا عمليًا على أن القانون الإسلامي يحتوي على أحكام جميع مستلزمات الحياة سواء منها الدينية أو الاجتماعية أو الأهلية أو الجنائية أو العسكرية، ويحمل شبابنا على الورود من مناهل اللغة العربية والعكوف على دراسة الشريعة الإسلامية.

أما جعلهما على الهامش كما يجري به العمل الآن فهو ما يأباه الإسلام وتبتعد عنه الوطنية الربانية.

ويعجبني قول الإمام الشهيد حسن البنّا عليه رضوان الله:

(يجب أن يهيمن الإسلام على كل شؤون الحياة وأن تصبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتساندها ما دامت الأمّة تريد أن تكون مسلمة إسلامًا صحيحًا. أما إذا أسلمت في عبادتها، وقلّدت غير المسلمين في بقية شؤونها، فهي أمة ناقصة الإسلام).

أما الجديد الذي لا يذيب شخصية المغرب ولا يتنافى مع الحنيفية السمحة الصالحة لكل زمان ومكان، فإننا نعدّه قوة جديدة تدعم كيانهما وتضمن مستقبلهما لأن الإسلام كما هو معلوم موصوف بالمرونة وسِعَة الأفق والسموّ والإحاطة.

وعليه، فإنني باسم فرع جمعية علماء الإرشاد والإصلاح بسلا أطالب حكومتنا الوطنية بإقامة النظام الإسلامي بالمغرب ودستورية الكتاب والسنّة، كما أطالب بتغيير

(1) إحدى الجمعيات التي تأسّست منها رابطة علماء المغرب وكان يرأسها شرفيًا صاحب الجلالة أمير المؤمنين محمد الخامس طيّب الله ثراه وعمليًا العلّامة الكبير السيد الحسن مزور رحمه الله ثم العلّامة المُصلح الداعية السيد محمد بن عبد الرحمن العراقي الحسيني أبقاه الله.

برنامجكم القضائي تغييرًا يرضي الأوساط العلمية والشعبية تسند بمقتضاه وظائف القضاء إلى رجالات القانون الإسلامي وأطالب بحمل القضاة على الحكم بما أنزل الله وصدق الله في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: الآية 65].

وفقنا الله جميعًا للصواب وأعزّ الإسلام بأمير المؤمنين محمد الخامس الذي لا ينكر أحد جهاده في سبيل إعزاز الإسلام والمسلمين في هذا العصر.

وختامًا تقبّلوا احترامنا وتقديرنا.

سلا 11 ربيع الأول 1376

الإمضاء:

محمد الباقر ابن الشيخ محمد

الكتاني عفي عنه

فهرس المحتويات